INSTITUT DU MONDE ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal PRIZE

كليمان هوار

CLÉMENT HUART

هامل بن عيسى

100 كتاب وكتاب

12

كليمان هوار

الكتاب : كليمان هوار
المؤلف : **أ.د. هامل بن عيسى**
الطبعة : الأولى 2020
عدد الصفحات : 128
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2019MO5749
الترقيم الدولي : 978-9920-627-16-0

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب

6، زنقة التيكر

هاتف : 212522810406+

فاكس : 212522810407+

markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان

الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي

هاتف : 9611747422+

فاكس : 9611744733+

INSTITUT DU MONDE ARABE
معهد العالم العربي
كرسي المعهد

King Faisal PRIZE

كليمان هوار

أ.د. هامل بن عيسى

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبـــة 7

مقدمة 9

نبذة عن حياة كليمان هوار 11

- تكوينه المعرفـي 16
- العامل الديني 19
- العامل الحضاري 20
- مدرسة اللغات الشرقية الحية 21
- المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHEP)..... 23
- المكتبات..... 29
- كرسي اللغات الشرقية 30
- معهد فرنسا Collège de France..... 32
- أكاديمية النقوش والفنون الجميلة..... 33
- دائرة المعارف الإسلامية 35
- تخصصه..... 36
- تجاربه العملية والعلمية..... 42

مختارات من كتاباته 48

- كتاب "تاريخ الأدب العربي" 48

- كتاب: "قونيا ..مدينة الدراويش"..... 58
- كتاب مناقب العارفين..... 66
- كتاب "البدء والتأريخ" 69

مختارات من كتاباته الفكرية والإبداعية 74

- أسلوبه ورؤيته للعالم العربي..... 86
- رؤيته للعالم العربي..... 90

تلقي هوار غربياً وعربياً..... 102

- هوار في الغرب 102
- هوار في العالم العربي 112

بيبليوغرافيا هوار 126

عتبـة

يصدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهد العالم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزًا مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة

على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية، والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تمامًا أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشينًا لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئه الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

أمين عام الجائزة	مدير عام المعهد
عبد العزيز السبيل	معجب الزهراني

مقدمة

يعد المستشرق الفرنسي (كليمان هوار) من أكثر المستشرقين إسهاما في مجال الدراسات الاستشراقية، حيث عَمِلَ، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين، على مدّ جسور التواصل الثقافي والتأسيس للحوار الحضاري بين العالمين العربي والإسلامي من جهة، والعالم الغربي من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق تأتي مبادرة "جائزة الملك فيصل" بالمملكة العربية السعودية في إطار شراكتها مع "معهد العالم العربي بباريس"، بإدراج هذا المستشرق ضمن مشروع "**مائة كتاب وكتاب**" بوصفه أحد أبرز الدارسين ممن أسهموا في مد جسور التواصل والحوار بين الثقافتين ضمن الجدلية التاريخية القائمة على ثنائية "الأنا والآخر".

تضمن الكتاب ترجمة وافية عن حياة هذا المستشرق، وعن تكوينه وتخصصه وتجاربه العلمية والعملية، كما تضمن عرضاً لأهم كتبه ومختاراته الفكرية والإبداعية، التي تبرز

أسلوبه ورؤيته للعالم العربي، بالإضافة إلى مختصر عما كُتب عنه في الشرق والغرب. وخُتم الكتاب في الأخير بثبت ببليوغرافي موجز لأهم أعماله.

د. هامل بن عيسى

نبذة عن حياة كليمان هوار

كليمان هوار، واسمه الكامل "إمبول- هوار ماري- كليمان"، (Imbault-Huart Marie-Clément)، هو مستشرق ودبلوماسي فرنسي، كاتب ومترجم وعالم لغة مؤرخ ومحرر صحفي. ولد بباريس في 16 من فبراير عام 1854 وتوفي بها في 30 من كانون الأول-ديسمبر سنة 1927م، عن عمر ناهز 72 عاماً.

لم تذكر المصادر التاريخية عن أسرته الشيء الكثير سوى أن أباه كان محامياً، اعتاد هوار على أن يوقع أعماله باسمه، رداً للجميل على ما كان يحظى به عنده من مكانة، وأن شقيقه الأصغر كاميل إمبول-هوار Camille Imbault-Huart، الذي كان عالم كهنوت، عُيّن قنصلاً هو الآخر لفرنسا في كانتون Canton بالصين عام (1857)، وتوفي بها سنة (1897). مما يعني أن الأستاذ هوار قد ترعرع في أحضان أسرة مسيحية بروتستانتية[1].

أنجب الأستاذ هوار ولدين وبنتًا، أحدهم يدعى (ريموند

(1) École pratique des hautes études, Section des sciences religieuses. Annuaire, Paris 1927-1928, p22

إمبولت-هوارت (Raymond Imbault-Huart 1895-1969) وتشير المصادر بأن هوار الابن، قد حاز على دبلوم في العربية والفارسية والتركية من مدرسة (Enlov)، كما اشتغل مترجماً للجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، ثم مترجماً فورياً لدى قنصلية بلاده في القسطنطينية 1919م، أما ابنة هوار فظلت تشتغل بما جمعه أبوها من مخطوطات عربية وفارسية وتركية[1].

في سن مبكرة لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمره، بدأ كليمان هوار تعلم اللغة العربية ولهجاتها العامية، على يد نخبة من الأساتذة المتخصصين في هذا الميدان، في مقدمتهم أستاذ اللغة العامية واللهجات المحلية في المدرسة الشرقية، (أمان كوسان دي برسيفال Amand Caussin De Preceval)، (Schefer) (Barbier de Maynard) Brunet de Presles (وفي الوقت نفسه كان يتابع في (كوليج دي فرانس) دروس Barbier (de Maynard) و(Pavet de Courteille) ضمن قسم الدراسات التاريخية والفيلولوجية[2].

التحق بمدرسة التعليم العالي وحصل على إجازة فيها،

(1) https://books.openedition.org/enseditions/3730?lang=fr
(2) École pratique des hautes études, Section des sciences religieuses- Ibid, p22

متوجاً بأول دبلوم في اللغات الشرقية وفقاً لمرسوم 1869م، تحت إشراف أستاذين شهيرين متخصصين في هذا المجال، هما: (Defremery) و(Guyard) و(Carrière). وقد شكل هذا التتويج حدثاً تاريخياً في فرنسا لا يضاهى آنذاك، لأن هوار كان أول من حاز على هذا الدبلوم، بعد صدور هذا المرسوم، خلال السنة الجامعية (1872-1873)[1]، في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، حيث أنجز أطروحة من خلال ترجمته لكتاب "أنيس العشاق لشرف الدين رامي" إلى اللغة الفرنسية، عام 1875م[2]. واصل هوار تحسين كفاءته اللغوية، نطقا وكتابة في العربية والفارسية والتركية واليونانية الحديثة، فضلاً على إجادته للكلام ببعض اللهجات المحلية، ولعل أهمها اللهجة الجزائرية العاصمية التي أجاد الحديث بها، منذ طفولته، بالنظر إلى تشابك العلاقة بين فرنسا ومستعمرتها المتميزة (الجزائر).

في يناير 1919م انتُخب كليمان هوار عضواً في أكاديمية النقوش والآداب، ليُعيَّن رئيساً لها عام 1927م، كما كان عضواً فخرياً للمجمع العلمي العربي، وعضواً في المجمع العلمي الفرنسي، ثم عضوا في الجمعية الآسيوية، عام (1898)،

---

(1) مقداد محمود: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا

(2) (Bibliothèque de l'EPHE, fasc. 25, 1875)

ونائب رئيسها، في الفترة الممتدة، ما بين (1916-1926)، فعضواً في لجنة الأعمال التاريخية والعلمية بوزارة التربية والتعليم. خلال الحرب العالمية الأولى انضم إلى لجنة إغاثة الجرحى المسلمين، التي تأسست في مدرسة اللغات الشرقية. كما انتخب عضواً في (جمعية أصدقاء الشرق). ثم عُيّن موظفاً في إدارة بعض المستعمرات الفرنسية المشرقية. كما شغل كرسي الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية. لينتخب عضوا ومستشاراً في لجنة الأعمال التاريخية والعلمية التابعة لوزارة التربية والتعليم في فرنسا.

قضى الأستاذ هوار أكثر من عشرين عاماً في الشرق الأوسط، قضى منها في دمشق وحدها، حوالي ثلاث سنوات، ما بين (1875-1878) طالباً ومترجماً مبتدئاً لقنصلية بلاده هناك، ثم عمل مترجماً ثالثاً، فنائباً للقنصل بتركيا من سنة (1878) إلى (1898) بعد وفاة سفير فرنسا بتركيا (شارل شيفر Charles Schefer) ومترجماً من الدرجة الثانية لسفيرها في إسطنبول من 1878[1]. كما عين مترجماً عن اللغات الشرقية لدى وزارة الخارجية الفرنسية بباريس سنة 1889م، ثم

(1) جمال محمد بن محمود، البيان في فضل الإسلام، ونبيه العدنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص147.

عُين أمينَ سر، مترجماً، من الدرجة الأولى، سنة 1907م، لدى وزارة الخارجية في الحكومة الفرنسية، ثم انتُدب كقنصل عام لحكومة بلاده في دمشق، ليعود بعد ذلك مرة أخرى إلى مدرسة اللغات الشرقية بباريس[1]. حيث أصبح أستاذاً للعربية والفارسية والتركية، ثم مديرا للمدرسة العليا.

شارك هوار في العديد من المؤتمرات حول الاستشراق، منها مؤتـــمر الجزائـر سنة (1905م)، ومؤتمر كوبنهاجن عام (1908) ومؤتمر القاهرة (1909)[2]. ويُروى أنه كان يلقي محاضراته باللغة العربية الفصحى.

كانت حياة الأستاذ هوار حافلة بالإنجازات والدراسات العلمية، حيث بلغ عدد مساهماته العلمية 65 عملاً، ما بين الترجمة والتأليف والتحقيق، خلال الفتـــرة الممتدة ما بين 1904 و1926م. مما يضيق المقام هنا عن ذكر جميعها. ولم يمض عليه وقت طويل حتى تخلى عن جميع الوظائف الرسمية والمدنية، وآثر العلم على الوظيفة، فانتصر للتدريس والتصنيف، وأبلى فيهما البلاء الحسن.

---

(1) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج7، 1927، ص127

(2) Blémont, "HUART (Marie-Clément IMBAULT HUART dit)," in Roman d'Amat et al., Dictionaries de biographies Françoise XVII, 1986, cols. 1382-83

حاز الأستاذ هوار على وسام فخري لجوقة الشرف، بدرجة ضابط كبير بالمغرب الأقصى، كما مُنح أوسمة وجوائز كثيرة، من فرنسا وتركيا واليونان وتونس والجزائر وإيران[1]. كما أشادت الحكومة الفرنسية بأعمال هوار في رسالة تأبينية ألقاها أحد وزرائها ممثلاً عنها على جموع الحضور بمدرسة النقوش بمناسبة وفاته في سنة 1926[2].

ـ تكوينه المعرفي:

تكون هوار في أحضان المدارس الاستشراقية الفرنسية، المتخصصة في ثقافة الشعوب الشرقية وحضارتها وتاريخها، التي وإن اختلفت مع نظيراتها الأوروبية، فإنها اتفقت معها في وحدة المبدأ والرؤية والمنهج، ووحدة الأهداف والغايات والوسائل. وقد واكب هوار أهم مرحلة من مراحل التطور في أوروبا، حيث بلغت العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية أوجها، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث تضاعفت مردودات المدارس الاستشراقية وحصائلها العلمية، النظرية والتطبيقية، في هذا المناخ بمعدلات على نحو غير مسبوق،

(1) نجيب عقيقي، المستشرقون، دار العلم للملايين، مصر،ج1، ط3، 1964 ص230

(2) ينظر .....

مما جعل هذه المدارس تضطلع بتكوين الباحثين وإمدادهم بالمناهج العلمية، بما يتيح تأطير الظاهرة العلمية في الوعي الغربي، انطلاقاً من أصول العلم وبداياته الأنثروبولوجية السحيقة، كيف نما وتطور وسار عبر مختلف الحضارات، منذ الحضارات الشرقية القديمة والحضارات الإغريقية والعصر السكندري، إلى رحاب الحضارة العربية الإسلامية، التي كان لها دور مفصلي في تقدم العلوم، حتى وصلت إلى القرن العشرين متكاملة، بالغة الثراء والعطاء.

إن التحاق هوار المبكر بمدارس ومعاهد التكوين المتخصصة في الاستشراق، أتاح له فرص اكتساب كفاية معرفية واسعة بمناهج دراسة الحضارة العربية الإسلامية، ثقافة وتاريخاً، واستكشاف طبيعتها ومكوناتها وخصوصيتها، خاصة وأن من مهام تلك المدارس والمعاهد التركيز على مبدأين أساسين: أما الأول، فإيجابي، ويتمثل في التحكم في اللغات الشرقية، وامتلاك الأدوات الإجرائية والكشفية للبحث العلمي الضرورية لفهم وتفسير ظواهر الحضارة العربية الإسلامية، وتشكيل صورة واضحة عنها وعن خصوصيتها ومقوماتها في الأذهان، من خلال الوقوف عند مرتكزاتها ونقاط قوتها، التي تستند إليها قدرتها على التكوين الاجتماعي والسيطرة على المسار المجتمعات الإسلامية، وذلك بغرض الإفادة منها.

أما الثاني، فسلبي، ويتجلى من خلال توجيه الجهود الاستشراقية، لمعرفة نقاط ضعفها وتناقضاتها القومية والعرقية والطائفية والمذهبية والإقليمية، والعمل على صياغة أدوات التحكم والسيطرة المناسبة، لإحكام القبضة على الشعوب العربية والإسلامية، من خلال الإمساك بمفاتيح أسرار أزماتها ومشكلاتها البنيوية، بما يسمح بإدارتها وفقاً للأهداف المحددة بما تقتضيه الضرورة في الزمان والمكان[1].

تعد المدارس والمعاهد الاستشراقية الفرنسية، الأهم على الإطلاق، بين نظيراتها الأوروبية خصوصاً والغربية عموماً، من حيث وضوح أهدافها وغاياتها واستراتيجياتها، ومن حيث كونها الأكثر راديكالية، في التعامل مع العالم العربي الإسلامي ولغته ولهجاته وثقافته؛ لأن فرنسا تُعْلي من شأن اللغة ودورها في الثقافة، جاعلة منها مبضعاً وأداة حادة لتمزيق جسد مستعمراتها، بما يخدم مصالحها على حساب الشعوب المستعمَرة التي ظلت تعاني من آثارها السلبية في مختلف الميادين حتى بعد استقلالها. ويمكننا أن نُلَخِّص، إلى جانب ذلك، أهم العوامل التي أسهمت في تكوين الأستاذ هوار ونذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

(1) د.محمد فاروق النبهان، الاستشراق، تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو. 2012 ص 14.

ـ العامل الديني:

هيمنت النزعة الدينية على بدايات حياة هوار، قبل أن ينزع منزعاً أكاديمياً علمانياً. لقد نشأ نشأة مسيحية بروتستانتية، في أسرة متشبعة بالقيم والأخلاق الدينية. ولا أدل على ذلك من اشتغال أخيه بالكهنوت قبل تعيينه دبلوماسياً في الصين، فضلاً على أن هوار تغذّى، منذ الصبا، على جذور الظاهرة الاستشراقية في فرنسا.

وهي جذورٌ نمت في مناخ ديني مسيحي، فليس من قبيل المصادفة أن يكون هوار أول مستشرق فرنسي ينال أول دبلوم في الدراسات الشرقية، بمقتضى أمر بابوي يرجع إلى القرن الثامن عشر (1775م). كما أنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون أول مستشرق ينشر أول مقال له بعنوان "مصدر جديد للقرآن"..! كما أنه ليس من قبيل المصادفة كذلك «أن تكون فرنسا رائدة الاستشراق الأوروبي وقتذاك، وأن يكون أول عمل استشراقي، فرنسي الجنسية، ولا أن تصدر أول ترجمة لمعني القرآن الكريم في فرنسا، ولا أن يعقد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين في فرنسا، وذلك عام (1783)، ولا أن تؤسس أول جمعية استشراقية في فرنسا باسم (جمعية باريس الآسيوية) وذلك عام (1821)، وأصدرت دوريتها باسم (المجلة الآسيوية) منذ عام

(1822)، وترسخت أقدام الاستشراق الفرنسي بإنشاء كراسي اللغات الاستشراقية فيه» [1].

ـ العامل الحضاري:

ترعرع هوار في جو ثقافي، قائم على مبدأ التفاضل بين الحضارة الأوروبية الغربية وبقية الحضارات، في مرحلة بلغت فيها فرنسا أوج التقدم الحضاري والتطور العلمي في أعقاب عصر التنوير. الأمر الذي قادها إلى خوض غمار ثورة في مختلف الميادين.

وكانت هذه الثورة رمزاً للتفكير العلمي والتحرر السياسي واستكمال بناء المشروع الحداثي، ليس في أووريا وحسب، بل وفي العالم أجمع. ورغم التطور الذي شهدته فرنسا وأوروبا في هذا العصر، ظل الاستشراق يعاني من أزمة هوية، في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بسبب عدم القدرة على تحديد طبيعته: هل هو علم أو حركة فكرية أو مذهب أو إيديولوجيا أو غير ذلك؟ ومع ذلك ظل الاستشراق أداة متعددة الرؤوس من أدوات تكريس مبدأ المفاضلة بين الحضارات بالتركيز على

(1) أد.جواد كاظم النصر الله، م.د، شهيد كريم الكعبي، الاستشراق الفرنسي والبعثات اليسوعية، لقاء الاستشراق والتبشير،مجلة دراسات استشراقية ، ع4، 2015، ص98

الحضارة العربية الإسلامية، والعمل على تدبير الشرق الأوسط، بل حتى إعادة صناعته وانتهاجه، حضارياً وثقافياً، على رأي إدوارد سعيد. ومن هنا يمكننا تفسير الطبيعة الموسوعية التي تميز بها الأستاذ هوار، والتي تجلَّت بوضوح في أبحاثه وأعماله المتنوعة بين التاريخ والفلسفة والدين والفنون وغيرها.

ـ مدرسة اللغات الشرقية الحية:

تمثل هذه المدرسة إحدى أبرز المحطات المهمة في حياة الأستاذ هوار، فقد بدأ فيها تلميذاً متعلماً للغات الشرقية، ثم أستاذاً ومدرساً لها في وقت لاحق. وقد تأسست هذه المدرسة بخلفية استشراقية بمقتضى قانون، صدر في 30 من مارس 1775م، غير أنها سرعان ما أُلحقت بوزارة التربية والتعليم الفرنسية عام 1832م، ليعاد تسميتها بموجب مرسوم صدر في 8 نوفمبر عام 1869م. وكان الغاية من إنشائها تكوين وتدريب المتخصصين في اللغات الشرقية، إلى جانب إعدادهم لأهداف استعمارية، مدنية أو عسكرية، وأخرى علمية وثقافية. وكان من الأهداف العملية لهذه المدرسة أن يتقن الطالب، على الأقل، لغتين شرقيتين، على المدى القريب.

يعد الأستاذ هوار أحد خريجي المدارس الاسشراقية الفرنسية بامتياز، ففيها تلقى أولى دروس الاستشراق، وعمره

لم يتجاوز الأربع عشرة سنة، وعلى أيدي أساتذتها تشرب منذ طفولته روح الثقافة الشرقية، وتعلم لغاتها الأساسية. وقد أدت هذه المدارس دوراً مهماً في تكوينه وإعداده، لغوياً وعلمياً ومعرفياً، وتمكينه من الأدوات العلمية والمنهجية الضرورية للبحث والدراسة والترجمة، حيث أشرف على تكوينه مستشرقون بارزون، كانت لهم اليد الطولى في التكوين والتعليم، في إطار الحركة الاستشراقية الفرنسية والأوروبية عموماً. ومن بينهم المستشرق البارز (كوسان دي بير سفال)[1].

---

(1) كوسان دي بيرسفال Jean-Jacques Antoine Caussin De Perceval (-1835)، مستشرق فرنسي، ولد 24 جوان 1759، في موندديه Montdidier، وتوفي 20 جولية 1835 بباريس، درس اللغات الشرقية في باريس، في مطلع شبابه، وصار أستاذاً للغات في الكوليج دي فرانس Collège De France، عين أميناً على المحفوظات الشرقية في المكتبة الوطنية. انتخب عضواً في معهد فرنسا.
أهم أعماله المترجمة من اليونانية إلى الفرنسية (مغامرات الأنجولوت، 1769 لمؤلفها "أبولونيوس الرودسي). ومن العربية إلى الفرنسية ترجم سنة 1802: (تاريخ صقلية تحت حكم المسلمين) وهو عبارة عن مستلة من الموسوعة الضخمة للمؤرخ المصري المعروف شهاب الدين النويري قبل عام 721هـ، وهي بعنوان: (نهاية الأرب في فنون الأدب). كما ترجم هذا المستشرق تكملة حكايات (ألف ليلة وليلة، عام 1806)، و(الجداول الفلكية، لابن يونس عام 1806)، كما حقق بعض النصوص العربية (ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1992، ص488).

ـ المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHEP) :

بعد إنهائه المرحلة الأولى من الدراسة الاستشراقية، في مدرسة اللغات الشرقية، التي تلقى فيها تكويناً نظرياً أساسياً، وبعد أن تمكَّن من اجتياز هذه المرحلة بامتياز، التحق هوار بالمدرسة التطبيقيـــة للدراسات العليا، (Ecole Pratique des Paris Hautes Etudes)

والمعروف اختصاراً بـ(EPHEP)، حيث تكون في الدراسات الإسلامية وفقه اللغات الشرقية وأديان شبه الجزيرة العربية وما جاورها[1].

نال هوار رتبة شرف الباحث المستشرق العملي مع درجة الامتياز، متوجاً بأعلى دبلوم، كما أشرنا، في الدراسات الشرقية في هذه المدرسة المتخصصة في البحوث العلمية التطبيقية والأكاديمية، التي كانت تشرف على تأطيرها نخبة من المستشرقين المشهورين، المشهود لهم بالكفاية العلمية والعملية وحسن الأداء. وجاء هذا التتويج بعد ترجمته المتميزة لكتاب (أنيس الأشواق لشرف الدين رامي، عام 1875م). وبهذا يكون هوار قد حاز أول إجازة علمية استشراقية رسمية،

(1) نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، دار المعارف المصرية ط2، 1964، ص154.

تمُنح لطالب في هذا المستوى بمقتضى مرسوم، صدر في 30 من مارس 1775م يرسم معالم واضحة في طريق الاستشراق الفرنسي.

أنشئت المدرسة التطبيقية للدراسات الاستشراقية العليا عام (1868م)، بغرض تكوين وتدريب المنتسبين إليها، على البحوث التطبيقية والأساسية عالية المستوى. وتضم هذه المدرسة العلمية مجموعة من الفروع، منها العلوم التاريخية والدينية والفلسفة وغيرها. وهي العلوم التي شكلت لاحقاً مجالات مهمة للبحث لدى هوار تجلت في مختلف بحوثه العلمية وكتاباته ودراساته الاستشراقية.

كما أن تعيين هوار نائباً لقنصل القسطنطينية، بعد وفاة زميله ورفيق دربه، المستشرق والدبلوماسي الفرنسي الشهير (شارل شيفر) عام 1899م، كان فرصة سانحة للنهل عن قرب من ميراثه، وبخاصة أنهما قضيا معاً مدة طويلة في الشرق الأوسط. وقمين بالإشارة أن شيفر كان يمتلك مكتبة ضخمة تكتنز بنفائس ونوادر المخطوطات التي استنسخها واشترى منها العدد الكثير، يقدر عددها بمائتين وستة وسبعين (276) مخطوطاً عربياً. ونفس العدد من المخطوطات الفارسية، ومائتين وتسعة وثلاثين (239) مخطوطاً تركياً، فضلاً على ما أهداه إياه (دي كوروا) ثم (ديكروديمانش)، حيث قُدّر العدد

بحوالي مائة وثمانية عشر (118) مخطوطاً، زيادة على ما اقتناه بوسائله الخاصة[1]. ولم يستفد هوار من مكتبة شيفر فحسب، وإنما استفاد أيضاً من فنياته المكتبية وتجربته الطويلة في التعامل مع طرق جمع المخطوطات وتحقيقها وتصنيفها ونسخها وترجمتها.. إلخ.

ولعل التحاق هوار يافعاً بمدرسة اللغات الحية الشرقية، إلى جانب تمكنه من اللغات الشرقية، كان له الأثر العميق في تكوين اتجاهاته المعرفية اللغوية، ورسم معالم طريقه نحو البحث والدراسة. وتأتي اللغة العربية في مقدمة تلك اللغات، التي أجادها على يد أستاذه (كوسان دي بير سفال)، إذ كان لهذا الأخير بالغ التأثير، ليس على هوار فقط، وإنما أيضاً على معاصريه. ولا ريب في أن هوار قد أفاد من مناقشاته ومصنفاته، التي شكلت آراء أستاذه فيها أهم رافد من الروافد الجادة، في الدراسات الإسلامية على ضوء العلوم اللغوية، التي كان من ثمارها دراسة (فلاديمير سولوفيوف: محمد، سيرته وتعاليمه الدينية) (1896) إلى جانب إفادته، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، من مصنفات "ويس شبونغر"، و"روبرتسن سميث"، و"يوليس فلهاوزن" و"أوغسطينس مولر"،

(1) نجيب العقيقي: المستشرقون، مرجع سابق، ص156

و"هوبرت غريمه"[1] كما تلقى تكويناً في مدرسة تخريج القناصل الذين يجيدون اللغات.

وقمين بالإشارة ههنا أن المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية (Ecole Nationale des Langues Orientales Vivantes à Paris)، قد أنشئت في باريس سنة (1795م)، وكانت مهمتها منحصرة في البداية، في تكوين السفراء والقناصل والتجار إلى بلدان الشرق «أسوة بالمدرسة التي أنشأتها الإمبراطورة ماريا تيريزيا في فيينا. ولما تولى العلامة (دي ساسي) تدريس العربية والفارسية فيها، أصبحت كعبة الطلاب وقبلة الباحثين، يتقاطرون إليها من ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا والسويد وإسبانيا وفنلندا وغيرها»[2] ليتخرجوا على يديه ويعودوا متمكنين في هاتين اللغتين، ليعلموهما في أوطانهم[3].

كما تلقى هوار تكويناً في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، (Supérieures Ecole Pratique des Etudes). وهذه المدرسة أنشئت في باريس سنة (1868م)، وتضم إليها قسماً للعلوم الدينية ملحقاً بجامعة السوربون، متخصصاً في فقه

(1) د. اليسكي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، سلسلة عالم المعرفة، ع215، الكويت 1990، ص99.

(2) ص153.

(3) نفس المرجع، ص153.

اللغات الشرقية ودراسة الإسلام وأديان بلاد الشرق العربي الإسلامي بوجه عام[1].

ومن الملاحظ أن تكوين خبراء ومختصين في الدراسات الاستشراقية حظي باهتمام مبكر، منقطع النظير، لدى دولة فرنسا الاستعمارية، منذ أن تبلور "الاستشراق كفكرة أول مرة، مذ قام (فرانسوا الأول سنة 1530م)، بإصدار أوامر تقضي بإجبارية تعلم العربية في المدارس الفرنسية (كوليج دي فرانس Collège de France). وانطلاقاً من ذات النوايا والأهداف، تابع (لويس الرابع عشر) اهتمامه بتعليمها في مدرسة فتيان اللغات، إلى جانب الفارسية والتركية، باعتبارها لغات إسلامية مهمة جداً ومفيدة، لخدمة مصالح فرنسا في العالم العربي والإسلامي، ثم واصلت فرنسا جهودها لتكريس أهدافها بشأن اللغة العربية وشقيقاتها الفارسية والتركية، فبادرت بتأسيس مدرسة خاصة لهذا الغرض تحت مسمى (مدرسة اللغات الشرقية الحية)، وكان ذلك عام 1775[2]، حيث كان الأستاذ هوار أحد ثمارها المجتناة، إذ أسهم إلى جانب زملائه، في إرساء أسس ثابتة ودائمة في تعليم اللغة العربية الفصحى ولهجاتها العامية، من المشرق العربي إلى مغربه.

---

(1) نفس المرجع ص154.

(2) نفس المرجع، ص154.

وبما أن هوار يعد من المتمكنين في هذا الميدان، فقد تخرج على يديه عدد كبير من المستعربين الكبار، المتمكنين في اللغة العربية بكافة أشكالها اللهجية، حيث تميز بثراء فكري هائل، أهَّلَه للانتماء إلى الدائرة الضيقة للمختصين في الحكومة الفرنسية. وقد أثرى الأستاذ هوار نشاط هذه المدرسة بـ20 نشاطاً علمياً، ما بين 1908 و1926م.

ومن محاسن الصدف أن الأستاذ هوار، كان قد تقلد عدداً من المناصب العليا للإدارة الفرنسية في دمشق وتركيا. وهو ما أتاح له مساحة كبيرة للقراءة والمطالعة والتأليف والأسفار والرحلات والاحتكاك بالباحثين والدارسين، فضلاً على إلقاء المحاضرات والمشاركة في المؤتمرات. فقد زار معظم المعالم التاريخية والثقافية في سوريا وتركيا والجزائر، كما ألقى كثيرا من المحاضرات، التي يفوق عددها الألف محاضرة.

وفي تقديري أن هذا العدد يصل إلى الآلاف بالنظر إلى حيوية هذا الباحث النشط بفعالية في الحركة الاستشراقية، وتعامله مع تقارير جهاز المخابرات العامة للحكومة الفرنسية إذاك، مثلما هو الحال بالنسبة لجل المستشرقين، التابعين للدول ذات الأهداف الاستعمارية.

ومما يحسب لـهوار أنه كان إذا استمع إليه أحد، على دراية بالعربية، وهو يحاضر يكتشف مدى ثقافته الواسعة

ويدرك روعة الإجادة التي تفيض بها محاضراته الزاخرة بمادتها العلمية الثرية، التي كان يلقي بعضها مرتجلاً، بلا ورقة مكتوبة، بعربية فصحى، وكأنه يقرأها من كتاب مرقوم بلسان عربي مبين.

ـ المكتبات:

لقد أفاد هوار من المكتبة الوطنية الفرنسية (BNF) التي كانت تعد من أهم المنارات التي باتت تضيء سبيل هوار في اتجاه الدراسات الاستشراقية، التي تزدحم رفوفها بملايين الكتب والمخطوطات، منها حوالي سبعة آلاف مخطوط عربي في مختلف المجالات والتخصصات، التي قلما توجد في غيرها، بما فيها النفائس العلمية والأدبية واللغوية والتاريخية والدينية والفلسفية، إذ نهل هوار عن قرب من هذه المخطوطات والنفائس الأدبية والعلمية التي شكلت اتجاهات المستشرقين بوجه عام.

ويعود تاريخ هجرة تلك المخطوطات والنفائس العلمية والأدبية العربية الإسلامية إلى منتصف القرن السابع عشر، وهو تاريخ نشأة المكتبة الوطنية في باريس عام (1654م)، التي بدأت في اقتناء المخطوطات والكتب منذ كانت المكتبة في (بلوى)، ثم في (فونتنبلو) إلى جانب مكتبات أخرى،

كمكتبة (كادرين دي مديسيس) و(مازون) و(الرئيس جولمن)، دون إغفال المستشرقين الذين أوفدهم الوزير (كولبر) إلى الشرق الأدنى، ممن ابتاعوا لهذه المكتبة ستمائة وثلاثين مخطوطاً. وقد أسهم الأب (سركيس) اللبناني بإعداد قائمة من الكتب السريانية والعربية، وقدمها إلى الكاردينال (ريشيليو 1642)، ثم أضيفت إليها أربعة مخطوطات عربية في العقيدة الدرزية أهداها طبيب لبناني بباريس إلى الملك (لويس الرابع عشر 1700)، ومخطوطات الأديار والكنائس، كدير (السوربون) و(سان جرمن دي بره)، والمقدر عددها بثلاثمائة مخطوط ، فضلاً على ما اقتناه لها (هربلو)، وما أرسله إليها (نابوليون) من حملته على مصر، حيث قدر عدد المخطوطات المرسلة بـثلاثمائة وعشرين مخطوطاً، إلى جانب ما اشترته من مكتبة (أسلن دي شرفيل) الذي كان يشتغل موظفاً في القنصلية الفرنسية بالقاهرة، إذ اقتنى الف وخمسمائة (1500) مخطوط[1].

ـ كرسي اللغات الشرقية:

لا ريب في أن جلوس الأستاذ هوار على كرسي اللغة الفارسية بمعهد فرنسا في باريس (Collège de France) إثر وفاة زميله شارل شيفر Charles Schefer عام 1899م، كان له

(1) نجيب العقيقي، النمسشرقون، مرجع سابق، ص155.

الأثر الواضح في تكوينه المعرفي والثقافي، لما لهذا المنصب من رمزية وأهمية بالغة في الحركة الاستشراقية وتاريخها. وجلوس الأستاذ هوار على هذا الكرسي يعني بالنسبة إليه الشيء الكثير، فهو حلقة ضمن سلسلة طويلة ممتدة إلى بدايات نشأة فكرة الاستشراق، مما يدعوه إلى الوعي بهذا التاريخ الطويل، في إدارة كراسي الاستشراق عموماً، منذ نشأتها أول مرة، في القرن الرابع عشر الميلادي، بأمر من البابا إكليمنضس الخامس في مجمع فيينا (1311-1312م)، الذي قضى بإنشاء كراسي للعربية، والعبرية والكلدانية، في عواصم العلم من أوروبا وقتئذ (باريس، وروما، وأوكسفورد، وبولونيا، وسلمنكا باسبانيا)، فأنشأت باريس كرسياً للغات السامية، لكن استثنت منها الفلسفة الرشدية العقلانية التي كانت تشكل تحدياً كبيراً يواجه الكنيسة المسيحية آنئذ. ثم أنشأت، في العصر الحديث، كرسياً للدراسات الإسلامية، في جامعة باريس، تتمة للقسم العربي في السوريون (تاريخ وحضارة العرب والفقه الإسلامي) وألحق بها معهد الدراسات الإسلامية[1].

للتذكير، فإن الملك (فرانسوا الأول)، قد أنشأ كرسيا للعربية والعبرية، في (ريمس 1519م) وعهد إلى (جوستينياني)

(1) نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 152

أسقف (نابيوبيه)، ولم يكتف الملك (فرانسوا) بالسيد (بريمس) فحسب، وإنما أنشأ معهد فرنسا (Collège de France سنة 1530م)، وقد أعدَّ فيه كرسيين للعبرية واليونانية، ليضيف الملك (هنري الثالث) إليهما كرسياً للعربية عام (1587م). وكلف لويس الثالث عشر جبرائيل الصهيوني تنظيم كرسي العربية والسريانية فيه، وقلده الأستاذية عليهما، ثم خلفه إبراهيم الحاقلاني، ثم الجمرى أستاذاً للغات الشرقية، وكان فيه دراسات عملية عالية عن اللغة العربية وآدابها[1].

ـ معهد فرنسا Collège de France

يرجع تاريخ تأسيس معهد فرنسا إلى عام 1530م، على يد الملك فرانسيس الأول، ليكون نادياً ملكيا للقراء من أبناء الملوك. وكانت اللغة اللاتينية آنئذ هي اللغة الرسمية الوحيدة في الممارسات الملكية والشعبية. كان في البداية معهداً ملكياً محافظاً، ظل ولمدة طويلة متأثراً بالعقيدة الكنسية، يحارب أي تجديد أو تطور حتى عام 1772 م.

حينها، صدر قرار ملكي أعاد تنظيم هذا المعد ليشتمل مختلف علوم العصر (فيزياء نيوتن، وقانون الطبيعة والناس

(1) نفس المرجع، ص 152.

والميكانيكا والأدب الفرنسي واللغات مثل التركية والفارسية والسريانية، والتاريخ والكيمياء - إلى جانب مجالات البحث الموجودة بالفعل: الطب، وعلم التشريح، واللغة العربية، والفلسفة اليونانية، واللغة اليونانية، والبلاغة اللاتينية، والشعر اللاتيني، وقانون الشريعة، والعبرية، والرياضيات). ومنذ ذلك التاريخ حملت (كلية كوليج دو فرانس) شعاراً تحت مسمى "دعوة لتعليم كل شيء" (Docet omnia).

ـ أكاديمية النقوش والفنون الجميلة:

انتسب هوار إلى أكاديمية النقوش والفنون الجميلة، Académie des inscriptions et Belles-Lettres وما كان له لينتسب إلى هذه الأكاديمية ويُنتَخَب فيها عضواً بالإجماع، لو لم تكن أعماله وجهوده البحثية والإبداعية تحظى بتقدير عال من جميع الباحثين، إلى جانب تمكّنه من القيام بدور وجيه في تحقيق الأهداف والغايات التي أنشئت من أجلها هذه الأكاديمية. وقد أسهم الأستاذ هوار في هذه الأكاديمية وحدها بـ18 نشاطاً علمياً، بين ترجمة ودراسة وتأليف، خلال الفترة الممتدة ما بين 1904م و1926م.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى رسالة التعزية والاعتراف بالجميل التي أرسلها إلى الأكاديمية الوزير الفرنسي للنقوش

والآداب، في الحكومة الفرنسية، التي يشيد فيها بالأستاذ كليمان هوار بعد وفاته، مثمّنًا عاليًا أعماله ونشاطاته الدؤوبة المختلفة، وبخاصة في مجال الترجمة وبمعرفته الواسعة والقوية باللهجات الشرقية، بل وبجميع نشاطاته التي غطت مختلف المجالات [1].

تأسست أكاديمية النقوش والآداب الجميلة إبَّان حكم لويس الرابع عشر Louis 14، في عام 1663م، بمبادرة من (كولبير Colbert). وتعد هذه الأكاديمية واحدة من الأكاديميات الخمس التابعة لمعهد فرنسا. وقد تم تثبيتها منذ عام 1805م في قصر المعهد، قبالة القبة الشهيرة لمتحف (اللوفر) في باريس.

وقد أنشئت هذه الأكاديمية لتمثل مركزاً قومياً رئيساً للبحث العلمي والنشر في فرنسا، ولكي تكون ذاكرة حية للبشرية جمعاء. ويتركز دورها على حفظ ودراسة التاريخ وعلم الآثار والثقافة والأديان وتاريخ الفن، وفقه اللغة واللغويات والآداب وتاريخ الفكر، إلى جانب مختلف التخصصات ذات الصلة بـ (دراسة النقوش، والمسكوكات

(1) Barbier de Meynard, Charles, Une inscription turque de la mosquée de Pékin , Académie des inscriptios et beaux – lettres, 46e année, N. 4,1902, p44.

والدبلوماسية، وما شابه ذلك)، فضلاً على أن هذه الأكاديمية توفر المشورة والخبرة للسلطات الحكومية بشأن القضايا العامة، التي تقع ضمن صلاحيتها. كما تشارك أيضًا في مراقبة مؤسسات الأبحاث في خارج فرنسا، وتعطي رأيًا بشأن التعيين في وظائف المؤسسات التعليمية والبحثية الفرنسية الكبرى.

ويعود الفضل إلى هذه المدرسة في إنشاء أقدم مجلة علمية، سنة 1665م، تُعنى بالعلماء وأبحاثهم العلمية، تحت مسمى (مجلة العلماء Le Journal des Savants)، والتي مازلت تصدر إلى غاية اليوم. حيث كان للأستاذ هوار دور بارز ومتميز فيها، إذ نشر فيها 27 بحثاً خلال الفترة الممتدة ما بين 1915 و1926م.

ـ دائرة المعارف الإسلامية:

أسهم الأستاذ هوار في تأسيس دائرة المعارف الإسلامية، واشتغل محرراً فيها. وتعد هذه الدائرة ثمرة من ثمار التعاون العلمي بين مختلف المستشرقين. وقد صدرت طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة ما بين عامي 1913م و1938م. تولت لجنة دائرة المعارف الإسلامية، من خريجي الجامعات المصرية، نقلها إلى اللغة العربية، منذ عام 1933م، وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليقات هامة على العديد من

المقالات المدرجة فيها، لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها عدد غير قليل من المستشرقين في سياق تلك المقالات[1].

ـ تخصصه:

تخصص الأستاذ هوار في اللغات الشرقية ولهجاتها وثقافتها، وعلى الرغم من أن بعض المصادر تذكر أنه تخصص في الفارسية وثقافتها وفي اليونانية الحديثة، إلا أننا وجدنا اهتمامه كان أكبر باللغة العربية ولهجاتها. فجل كتاباته وتأليفه كانت حول اللغة العربية وثقافتها. ولا غرو في ذلك، مادامت العربية –كما يصفها المستشرق الإنجليزي ويليام بدويل W. Bedwill، هي لغة الدين الوحيدة، وأهم لغة للسياسة والعلم، من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين[2].

بالإضافة إلى تخصصه في الترجمة والتأليف وتحقيق المخطوطات، اقتحم هوار العديد من المجالات، حيث اشتغل في مجال فنيات البيبليوغرافيا، وعلم المكتبات والتصنيف، ووضع الفهارس وجمع البيانات، وتحقيق النصوص والعناية بها

(1) شاكر عالم شوق، الاستشراق، أخطر تحد للإسلام، مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الثالث، ديسمبر 2006، ص75.

(2) برنار لويس، تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، ص9، نقلاً عن إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، ص43.

ومناقشتها. وقد أفاد هوار من خلال إدارته لمعهد الإثنيات من منهجية وضع البيانات والدراسات الميدانية، والدراسات الإحصائية والأنثربولوجية، والمقارنات البيانية، مما جعل بحوثه تترتب عنها نتائج ذات قيمة علمية عالية، لم يتوصل إليها كثير من الدارسين في مجال اللغات في عصره.

ومن هذا المنظور، ظل يُنظر إلى الأستاذ هوار على أنه موسوعة استشراقية عملية، متعددة التخصصات بامتياز، فقد تعددت اهتماماته في مجال اللغات وتاريخ الآداب واللغويات والفنون وغيرها، إلا أنه برز أكثر في الترجمة وتاريخ الأديان[1].

وبالرغم من الطابع الموسوعي الذي يتسم به في أبحاثه، إلا أننا لا ننكر إلمامه الواسع والمتميز، في جل أعماله المتعددة التخصصات. فكل عمل من أعماله جاء من وجهة نظر العديد من الباحثين، متميزاً بالدقة والتنظيم وجودة البحث والتأليف، ويتوفر على كثير من مزايا البحث العلمي الصحيح. أما العيوب فلا ريب أنها كثيرة، ويكاد لا يخلو منها أي عمل أو بحث، ومن السهل أن ندركها ونحذر شرها، عملاً بمبدأ أن لكل عمل - إذا ما تم - نقصاناً.

(1) École pratique des hautes études, Section des sciences religieuses. Annuaire, Paris 1927-1928, p22.

غير أنه غالبا ما تأتي دراسات الأستاذ هوار محددة ومختارة بعناية، حيث اهتم بدراسة الطوائف الباطنية، ولاسيما الشيعية والنصيرية والدرزية وغيرها، والتي يبدو أنها بدأت تأتي أكلها اليوم كما يقول لويس برنار، فضلاً على دراسات يهودية ومسيحية ذات الصلة بالمنطقة الشرق- أوسطية.

وقد ألفيناه في أكثر من موضع يسوق الاتهامات جزافاً، كما هو شأن كثير من المستشرقين الذين «يعمدون إلى تقليب صفحات المصادر العربية القديمة ليجدوا ثغرات ينفذون منها إلى أغراضهم المغرضة، أو ليتوصلوا إلى سطور قليلة، يستندون إليها في إساءتهم أو اتهامهم. وقد يجدون هذه السطور في بعض المصادر الضعيفة أو القليلة الأهمية، أو في بعض الروايات المشكوك في صحتها، ثم يقول المستشرقون لنا (لقد شهد شاهد من أهلهم)» [1].

وقد شاءت الظروف أن يواكب الأستاذ هوار أوج الاستجابة الملحة لتطور الذوق العام في أوروبا، من خلال الأدب العربي، لدى المستعربين الفرنسيين، الذي بلغ أوجه مع نهاية القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، مع شيوع المذهب

(1) علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988 ص108.

الرومانسي المتمرد على الأعراف الكلاسيكية؛ إذ كان الفرنسيون قد ضاقوا ذرعاً بالآداب اليونانية والرومانية (اللاتينية) وملّت نفوسهم وسئمت، بعد أن استوعبوها، فطفقوا يبحثون عن عوالم جديدة لم يسمعوا بها، في الآداب المشرقية،؛ وقد أثبتت بعض الأجناس الأدبية حضورها ونجاحها على نحو متميز، كما هو الحال بالنسبة لحكايات "ألف ليلة وليلة"، التي سجلت رواجها اللافت، في فرنسا خاصة، والغرب الأوروبي عامة-بعد أن ترجمها أنطوان جالان.

ولا ريب في أن هذا المناخ الملائم والمتقبل لكل ما هو جديد، قد فتح الباب واسعاً أمام البحث في آداب الأمم المشرقية، وفي طليعتها الآداب العربية، فاتسعت رغبة الغرب في المزيد من الاستفادة، ليس من هذه الآداب فحسب، وإنما من مختلف العلوم العقلية والتجريبية والتأملية، وبذلك ازدادت وتيرة الترجمة، التي كانت الجسر الذي انتقلت عليه تلك العلوم آنذاك[1].

الأمر الذي ذهب الأستاذ هوار إلى تأكيده في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، حين اعتبر أن ترجمة أنطوان جالان Antoine Galland لحكايات "ألف ليلة وليلة"، قد مثلت حدثاً هاماً في

(1) محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، ع 167، نوفمبر 1992، ص 127،126.

الأدب الفرنسي، بعد ظهورها ما بين 1704 و1708م. وهذه الحكايات هي التي فتحت الباب مشرعاً أمام العديد من الترجمات التي جاءت تباعاً، بدأت بترجمة (Petis de la Croix)، عام 1710، ثم ترجمة (Caussin de Perceval)، عام 1824، تلتها ترجمات أخرى عديدة، لكن أفضل ترجمة لحكايات "ألف ليلة وليلة" من وجهة نظر هوار هي ترجمة Joseph-(Charles Mardus)[1].

برع هوار في الترجمة والكتابة الأدبية، التي مال فيها كل الميل، إلى درجة الجنوح، نحو التأليف في أدب وعقائد الطوائف الباطنية، باحثاً لها عن جذور في المذاهب الشيعية والثقافة الفارسية القديمة، حتى يكاد يخُيَّل للقارئ بأن هوار قد تخصص في هذا الشأن، حيث تَرجمَ وكَتَبَ وألَّف كثيراً من الكتب والمقالات في هذا المجال، فقد كانت ترجمته الأولى لكتاب (أنيس الأشواق لشرف الدين رامي 1875م)، بمثابة البوابة التي ولج منها الأستاذ هوار إلى العوالم الأدبية الغرائبية الساحرة. فترجم شعر الطائفة النصيرية "الشعر الديني النصيري 1879"، كما ترجم "رباعيات بابا طاهر عريان 1885م".

كما كتب عن تاريخ العقيدة البابية "تاريخ دين الباب،

---

(1) ينظر: Clément Huart, l'histoire de la littérature arabe

المصلح الفارسي في القرن التاسع عشر 1889". والَّف في التصوف كتابا بعنوان "قونيا.. مدينة الدراويش 1897"، و"دراويش آسيا الوسطى 1918" فضلاً على كتابات أخرى في ذات الاتجاه.

لا شك في أن هوار، باعتباره أحد أقطاب طليعة كبار المستشرقين المنتمين إلى الدائرة الضيقة للحكومة الفرنسية حينذاك، كان يدرك تمام الإدراك، مدى حاجة فرنسا الاستعمارية الملحة لمعرفة ودراسة الأنساق الثقافية في العالم العربي والإسلامي، وذلك، ليس من أجل التواصل مع العرب والمسلمين، ثقافياً وأدبياً فحسب، وإنما بغرض الإشراف المباشر على مصالحها وتكريس هيمنتها على المنطقة ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً. ومن هنا يمكن القول بأن سعي فرنسا لتأسيس المدارس وإنشاء الجمعيات، وإعطاء أولوية خاصة لتعليم اللغات الشرقية، وعلى رأسها اللغة العربية، وتخريج متخصصين في الأنثربولوجيا والفيلولوجيا والإثنولوجيا، لم يكن عبثاً أو عملاً من سقط المتاع في فرنسا، وإنما كان غاية ينبغي بلوغها، وحاجة ملحة، يجب تلبيتها، مهما كانت الظروف والصعوبات.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن الأستاذ هوار في ظل هذا المناخ، جاء نشاطه العلمي والسياسي، في زمن انفردت فيه فرنسا الاستعمارية مبكراً، من بين سائر الدول الأوروبية، بركوب الحركة الاستشراقية في توسعها وتمددها

إلى دول عربية أخرى، مشرقية ومغاربية، كالجزائر والمغرب وتونس ومصر، إلى سوريا ولبنان، حيث توجد جامعة القديس يوسف، التي يعمل فيها عدد كبير من الآباء اليسوعيين المستشرقين[1].

ـ تجاربه العملية والعلمية:

اكتسب الأستاذ هوار تجربة كبيرة، تميزت بالغنى والتنوع والثراء، تجلت، بدايةً، في الترجمة ثم التأليف وتحقيق المخطوطات وتصنيفها. وتكاد تكون تجربته في جلها علمية وموضوعية، استقاها من نشاطاته العملية، وإن تلوَّنَ جزء منها بشيء من الرومانسية، فالأستاذ هوار قد جاء غداة عصر، شهدت فيه الحركة الاستشراقية منعطفاً تاريخياً حاسماً، نحو الاتجاه العِلماني Scientisme.

ففي هذه الفترة شاعت النظريات السياقية، اللانسونية والتاريخية والاجتماعية والنفسية، إلى جانب الأنثربولوجيا وعلم الإثنيات وغيرها، وهو الأمر الذي دفع جل المستشرقين إلى تغليب النزعة العلمية الموضوعية في أبحاثهم، والتخلص من الآراء التقليدية القديمة، التي امتزجت فيها الملابسات الدينية والذاتية بالإيديولوجيات المقيتة.

---

(1) ميشال جحا، الدراسات الشرقية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت ط1، 1982م، ص46.

وهي مرحلة اعترف فيها هؤلاء المستشرقون بكينونة الحضارة العربية الإسلامية، وخصوصيتها الثقافية والتاريخية، فاجتهد بعضهم في نقل صورة موضوعية عن الشرق العربي الإسلامي، وفهموا الموضوعات الشرقية فهماً موضوعياً، وعملوا في سبيل تنقية الاستشراق من العديد من الشوائب الدينية والاستعمارية، مما مهد إلى مرحلة التحول النهائي، فأصبح الاستشراق علماً قائماً على نقد النصوص ونقد التاريخ، الذي راح يستقي منه الباحثون المعاصرون في هذا المجال تجاربهم الخاصة [1].

كما اكتسب هوار تجربة خاصة في عالم الدبلوماسية، مكنته من الجمع بين الشيء وضده في الآن نفسه، وإجادة الرقص على رؤوس الأفاعي والثعابين، واللعب على الحبلين بحنكة بالغة، قلَّ نظيرها لدى الكثيرين، والاعتماد على إستراتيجية المغالطة وازدواجية الخطاب أحياناً، كلما اقتضت الضرورة إلى ذلك سبيلاً. ذلك أن هوار كان يدرك تمام الإدراك حساسية المسلمين المفرطة تجاه دينهم وثقافتهم، كيف لا، وقد قضى ردحاً من الزمن، امتد إلى أكثر من عقدين، في الجزء الأهم والأكثر حساسية من عالم الشرق الإسلامي، على المستويين العقائدي والدبلوماسي، إذ كان يصيب أهدافه دون أن يثير المشاعر والحساسيات.

---

(1) علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص82.

مما جعل دوائر في الأزهر بمصر وغيرها من التيارات الإسلامية المحافظة، تصنفه ضمن الخانة الحمراء الأقل خطراً على الإسلام والمسلمين. ونظراً للطابع التقليدي لمشيخة الأزهر، وافتقارها للرؤية العلمية في تلك الفترة، رأت في هوار مجرد شخص عادي يخبط خبط عشواء في الشأن الإسلامي، بالرغم من أنه كان من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية، التي تستقطب عدداً كبيراً من المستشرقين في مختلف التخصصات، وكان من أبرز المشاركين في وضع خطط العمل المشتركة وتوفير الوسائل، لتنفيذها وفقاً لجداول زمانية محددة.

فضلاً على ذلك، تمتع المستشرق هوار بتجربة ثرية في مجال دراسة الفنون والنقوش الإسلامية الشرقية، خاصة الفن العربي، إلى جانب الفن الفارسي والفن التركي، وكان من ثمار تلك التجربة أن شارك كخبير، ميجيون جاستون (Migeon Gaston) و(ماكس فان برشيم" Max Van Berchem) في وضع دليل وصفي للأكاديميين والمرشدين (1903م) يضم مائة لوحة من روائع الفن الإسلامي، تحت عنوان "معرض فنون المسلمين[1].

(1) ينظر:

Gaston Migeon, Max van Berchem et Clément Huart: Exposition des Arts Musulmans, Catalogue Descriptif, Union Centrale des Ms Décoratifs, PAVILLON DE MARSAN, Société Francaise d'impremerie et librairie, Paris, Avril 1903

ويبدو أن هوار، ومن خلال تلك التجربة الثرية ، كان قد استشعر خطر بعض الكتابات الاستشراقية، التي جعلت الإسلام يسترجع بعض حقائقه المطموسة في الوعي المسيحي، بما لا يتماشى والسياسة العامة للحكومة الفرنسية، بعد تنامي تأثير علم "الإسلاميات Islamologie " في فرنسا، بطريقة معكوسة إلى حد ما، على بعض الدراسات الاستشراقية. مما جعله، ولدواعٍ سياسية بحتة ربما، لم ينتظر طويلاً في استثمار تجربته وحنكته الدبلوماسية، في الرد على المستشرق الروسي فلاديمير سولوفيوف، الذي ناقش مسألة الإسلام، في العديد من كتاباته ومحاضراته ومؤلفاته، التي يبدو فيها هذا الفيلسوف منشغلاً بالإجابة عن قضيتين اثنتين، هما: لماذا ظهر الدين الإسلامي؟ ومن هو محمد؟ حيث أنجز دراسة في هذا الاتجاه تحت عنوان" الإسلام والتعاليم الدينية لمحمد"، وكان رد هوار على هذه الدراسة التي تمثل تياراً متنامياً، ردّاً غير مباشر، متصفاً بكثير من الذكاء والدبلوماسية المعهودة، في هذا المجال، من خلال مقال نشره لدراسة، سنة 1904م في "المجلة الأسيوية " تحت عنون" مصدر جديد لأصل القرآن".

فحينما يتحدث هوار عن القرآن الكريم، أو عن نبوة محمد -ﷺ- على سبيل المثال، يتجرد من الصفة العلمية، التي تقتضي الموضوعية ونكران الذات، وتستبعد أحكام

الجزم واليقين، مُطلِقاً سهام الطعن في كل الاتجاهات، من جهة، ومن جهة أخرى، نجده لا يتردد في تكرار أحكامه الحازمة، في كثير من مؤلفاته، التي أبداها بشأن القرآن. فما كتبه عن القرآن، في المجلة الأسيوية المذكورة عام 1904م، عاد وكرره لاحقاً في كتابه،" الشعر العربي ما قبل الإسلام" جازماً بأن: «القرآن قطعاً، متكون من أفكار يهودية ومسيحية، والتي يزعم بأن قسماً كبيراً منه قد تسرب إلى العرب عبر طريق مسيحيي الحيرة، ثم إلى أمية بن أبي الصلت، الذي تشكل أشعاره قسماً واسعاً من آيات القرآن»[1]، مستنداً في ذلك على كتاب مجهول المؤلف، بعنوان:" البدء والتاريخ"، وبعض المرويات المفتقرة إلى الأسانيد الصحيحة.

نشير هنا إلى أن هوار، بهذه الدراسة، يبدو وكأنه يعمل على استرضاء تيارين تجاه الإسلام؛ تيار متعصب إزاء الإسلام والمسلمين، يتبنى أفكاراً وتصورات وأساليب عنصرية، تعتمد على فن الشحن العاطفي، وتأجيج المشاعر، والبحث عن الأساطير والخرافات والأشياء الغرائبية النادرة والطريفة في الشرق، للنيل من الحضارة العربية الإسلامية.

---

(1) Clément Huart, La poesie arabe anté-islamique et le Coran, In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 48e année, N. 2, 1904. pp. 240-242;

وتيار ثان، وهو التيار الأكبر حجماً والأقل تأثيراً، يستند نسبياً إلى المنهج التجريبي، المستمد من الدراسات الأنثربولوجية والإثنولوجية. وبما أن هوار كان ذا ميول علمية وأدبية ودينية، فقد حاضرَ وكَتبَ وألَّف وترجمَ في المجال الأدبي والديني والتاريخ، لكن بخلفية أنثربولوجية إثنولوجية، تجمع بين التيارين، مما أهله لكي ينال صفة "المستشرق" بامتياز.

مختارات من كتاباته

اخترنا للأستاذ هوار كتابه "تاريخ الأدب العربي" وكتاب "قونيا.. مدينة الدراويش"، و"مناقب العارفين"، وكتابه "البدء والتأريخ"، وعرضناها على النحو الآتي:

ـ كتاب "تاريخ الأدب العربي"

"تاريخ الأدب العربي" هو كتاب من جزئين، صدر عن مطبعة (أرماند كولين Armand Colin) عام 1903م، يقع في 470 صفحـــة من الحجم المتوسط، منتظمة في عدد من الأقسام. وقد انتهج فيه المؤلف منهجية منضبطة متعارف عليها في الكتابة التاريخية في دراسات الأدب المقارن. وحفل الكتاب بمادة غزيرة وأفكار كثيرة، راعى فيها التسلسل الزمني للأحدث والترتيب التاريخي للظواهر الأدبية، مقسماً إياها تقسيماً سياسياً، رابطاً بينها وبين سقوط الدول وقيامها، في العالم الإسلامي.

وظل كتاب "تاريخ الأدب العربي" ردحاً من الزمن مصدراً من المصادر الأساسية في الدراسات الغربية، كما

احتل مركز الصدارة في البحوث الاستشراقية، إلى أن صدر كتاب المستشرق الألماني بلاشير بنفس العنوان.

استهل الأستاذ هوار الجزْء الأول من كتابه بمقدمة، نَقَد فيها مصادر الأدب العربي، ولم يسلم من نقده حتى بروكلمان، ثم صدَّره بقسم تناول فيه البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية، متحدثاً عن رمالها المتحركة وحيوناتها وأمصارها ونظامها الاجتماعي من قبيلة وعشيرة، ونظامها التجاري ورحلتي الشتاء والصيف، كما تحدث عن أوليات الشعر الجاهلي وأصوله وأشكاله الفنية، وبعض أغراضه الشعرية، كالهجاء بوصفه نوعاً من استحضار السحر، كما تطرق بالخصوص إلى الطقوس الدينية السائدة في شبه جزيرة العرب.

أما الفصل الثاني، فخصه للشعر الجاهلي، محاولاً رسم ملامح الأدب العربي في العصر الجاهلي وجذوره التاريخية، مستعرضاً خصائص هذا العصر ومميزاته وأعلامه من الشعراء والظروف التي أحاطت بإنتاج الظاهرة الشعرية خصوصاً، والأدبية بوجه عام، في شبه الجزيرة العربية إبان تلك الحقبة من التاريخ العربي. حيث بدأ هذا الفصل بالحديث عن المعلقات الشعرية وشعرائها، كمعلقات امرئ القيس والنابغة الذبياني وعنترة وطرفة وزهير. كما تحدث عن الشعراء الصعاليك، وذكر منهم تأبط شراً والشنفري، كما تحدث عن

كرم حاتم الطائي، ثم تناول بعض الشعراء اليهود والمسيحيين والشعراء الموحدين من الأحناف؛ مثل الأعشى وأمية بن أبي الصلت وغيرهما، وختم هذا الفصل بالحديث عن جذور النثر العربي في هذا العصر.

أفرد هوار قسماً ثالثاً من هذا الكتاب، خصَّصه للقرآن الكريم، لكنه استهله بالحديث عن محمد -ﷺ- وعن الحياة الدينية في بداية البعثة المحمدية، ودور الأحناف في هذه الفترة. ثم انبرى للحديث عن نزول الوحي ومميزاته، فوصف البنية الأسلوبية للقرآن وتنوّعها وتشكلاتها اللغوية، وتأثيره على الشعر الإسلامي، كما تطرق إلى خصوصيته البيانية، ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن مدائح الرسول، حيث ذكر في هذا الصدد، أشعار حسان بن ثابت ولبيد.

ثم خصص الفصل الرابع للدولة الأموية والحياة الأدبية، في ظل حكم الأمويين. فتناول خصائص القصيدة العربية في هذا العصر ومظاهر التقليد فيها، وذكر بعض الشعراء في هذا المجال، كما تحدث عن حياة المجون في العصر الأموي، ومظاهره لدى نخبة من الشعراء، في مقدمتهم عمر بن أبي ربيعة، حيث استعرض هوار مغامرات هذا الشاعر، وذكر أشعاره الغزلية، وعدَّه زعيم الشعر الإباحي، ومؤسس مدرسة الغزل الحضريّة في الحجاز، مرجعاً سبب ظهور هذا الشعر

إلى الترف الذي ظهر في الدولة الأموية، وعاشه الشعراء في ذلك الحين، حيث قام قائلوه بذكر الوصل بين المرأة والرجل، والمبالغة فيها أيضاً، والإبانة عن أحاسيس الحب الماديّة وغيرها.

كما تطرق هوار إلى شعراء المدينة وخصائص شعرهم الجمالية والفنية، كما تحدث عن الغناء ومجالس الطرب وخصائصه ومميزاته وأهم أعلامه، واستعرض كذلك شعر النقائض وخصائصه الفنية، متحدثاً عن أقطابه: الأخطل والفرزدق وجرير، ثم تحدث عن ذي الرمة، بوصفه شاعر الحب وآخر شعراء الصحراء. كما تعرض لعوامل تطور الرجز في الشعر الأموي، وخصائصه وشعرائه، كما استعرض شعراء الفُرس الذين شرعوا، حينها، في قرض الشعر بالعربية، ولم يفت هوار الإشارة إلى النساء الشواعر في العصر الأموي، وذكر منهن ليلى الأخيلية والخنساء ومرثياتهما، كما استعرض بعضاً من شعراء الموالي، وذكر من بينهم زياد بن سليمان الأعجم، ثم تحدث في هذا الفصل عن الشعر المسيحي، كما تحدث عن الكميت وحماد الرواية وغيرهما.

أما الفصل الخامس، فخصصه للعصر العباسي، إذ تناول فيه تاريخ الدولة العباسية والحياة الأدبية فيها، بيد أنه قسَّم العصر العباسي إلى خمس حقب متتالية، مبرزاً ملابسات

وظروف الظاهرة الأدبية لكل حقبه وأسباب تطورها، مستقصياً أهم خصائصها ومميزاتها الفنية والجمالية.

فقد استهل الحقبة الأولى بالحديث عن معركة الزاب الكبرى، التي وقعت في 11 من جمادى الآخرة عام 132هـ، الموافق 25 يناير 750م. ثم تحدث في هذا الفصل عن تأسيس بغداد عام 762م، وتطرق إلى دور الموالي من الفرس في قيام الدولة العباسية، مشيراً إلى تأثير الفكر الآري في الحياة الثقافية العربية، وعوامل تطور الشعر، مستعرضاً شعراء هذه الحقبة، وذكر منهم الشاعر مطيع بن إياس، كما تناول شعر الأحباش، وخص بالذكر الشاعر الساخر أبا دلامة. ومن الشعراء الفرس ذكر بشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة، وابن الأحنف، كما تحدث عن شعراء المجون، وذكر منهم أبا نواس، ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني.

وفي سياق مختلف، تحدث عن الشاعر أبي العتاهية، كما تناول الغناء والمغنين في هذا الحقبة، وتحدث أيضاً عن الشاعر علي بن الجهم، إلى جانب ابن الرومي والبحتري وابن المعتز، كما ذكر شعراء آخرين، منهم "مهيار بن مرزويه الديلمي" و"ديك الجن". ثم تطرق للحديث عن الحركة الشعوبية والحمدانيين في حلب، وذكر في هذا السياق أبرز الشعراء، كالمتنبي وأبي فراس وأبي العلاء المعري، كما لم

يفته الحديث عن الأدب العربي في بلاد فارس وفي مصر وسوريا وصقلية وإسبانيا. كما تناول النثر الفني وعوامل ازدهاره في هذه الحقبة، وتطرق إلى ما أسماء النثر الأنيق المقفى (المسجوع)، وذكر في هذا المجال فن المقامات مع أبرز أعلامها، فجاء على ذكر الحريري وآخرين.

تابع هوار في هذا الفصل حديثه عن النحو العربي في العصر العباسي، متناولاً مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة، مشيراً إلى خصائص كل منها وأعلامهما وبعض الفروق بينهما. كما تطرق إلى معاجم اللغة وكتب النحو، فذكر منها معجم (العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي) و(الكتاب لسيبويه) و(الكامل للمبرد)، ثم تحدث عن (ابن دريد) بوصفه شاعراً، و(الكسائي) بوصفه عالماً بالقرآن الكريم، كما تحدث عن مدرسة بغداد، وعن لجوهري على أنه عالم في المعجميات. كما تطرق إلى كثير ممن كان لهم دور في اللغة والأدب العباسي يضيق المقام هنا عن ذكرهم جميعاً.

في مبحث آخر، تحدث هوار عن القصص والحكايات والخرافات. وهنا تطرق إلى دور ترجمة بعض القصص عن ملوك فارس والتي شجعت العرب على أن يكتبوا فيها ويؤلفوا على منوالها، مشيراً في هذا المجال إلى إسحاق وكتابه عن سيرة النبي ﷺ، كما تحدث عن الواقدي والطبري والمسعودي

وحمزة الأصفهاني وأبي الفرج الأصفهاني والبلاذري، كما تحدث عن "الفهرست" لابن النديم، و"تاريخ الأمم والملوك" للطبري، و"تاريخ الطب" لابن أبي أصيبعة من خلال كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، كما أشار إلى كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ.

وقد عدَّ هوار هذا الكتاب أول سيرة ذاتية في تاريخ الأدب العربي، ثم تحدث عن ابن خلكان، واستعرض كذلك وعاظ بغداد، وذكر منهم كمال الدين الموصلي، وفي سياق آخر، تناول تاريخ حلب وحكايات "ألف ليلة وليلة" ..

كما خصص مبحثاً للحديث عن السنة النبوية والفقه الإسلامي، وتطور علم الحديث النبوي، وكتب الصحاح، كصحيح البخاري وصحيح مسلم، وعلم الجرح والتعديل. كما استعرض المذاهب الفقهية السنية، كالمذهب الحنفي والمذهب المالكي، والشافعي والحنبلي إلى جانب المذهب الظاهري، ثم المذاهب الشيعية، كما تطرق إلى الدراسات القرآنية التي أنجزت في هذه الحقبة من التاريخ الإسلامي. وهنا ينضم هوار إلى جوقة المستشرقين الطاعنين في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وفي المبحث الأخير من هذا الفصل، تناول هوار العلوم والترجمة عن اليونان، والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك

والتنجيم والجغرافيا والطب والكيمياء، وتحدث عن الموسوعات التي كتبت في هذا المجال.

أما الجزء الثاني، فقد أفرده لتأريخ الأدب العربي، بدءاً من سقوط بغداد على أيدي المغول (عام 1228) إلى نهاية القرن الثامن عشر، مروراً بالغزو العثماني لمصر، في ظل حكم (سليم الأول) سنة 1517م. والقائمة هنا تطول، حيث استهل هذا الفصل بالحديث عن الشعر وتاريخ ابن خلدون، ثم المقريزي، والسيوطي، ثم تحدث عن بداية الكتابة بالعربية عند الأتراك. كما تناول المقري التلمساني، وحاجي خليفة. كما تطرق إلى الفقه والفقهاء في المغرب والسودان وغيرهما، ثم تناول الحكايات الشعبية، مثل "ألف ليلة وليلة"، كما أشرنا، وقصص عنترة وحكايات أخرى عن الفروسية، إلى جانب الخرافات، وغيرها.

كما أن الأستاذ هوار قد خصَّ الأدب العربي في القرن التاسع عشر بدراسة مستفيضة تطرق فيها لعدد من طلائع النهضة العربية، الفكرية والأدبية، فتطرق إلى رواد هذه المرحلة، مثـــل "ميشال الصباغ"، والشيخ "رفاعة رافع الطهطاوي"، إلى جانب "جرجي زيدان"، مشيداً بكتابه حول تاريخ مصر إبان فترة حكم "المهدي" في دولة السودان، كما أثنى على الكتابات القصصية.

وذكر في هذا المقام محمد المهدي الحفناوي بوجه خاص، والشيخ ناصيف اليازجي وأحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ولويس شيخو وطنوس بن يوسف الشدياق وبطرس كرامة ومحمد بن أحمد أفندي الإسكندراني والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي.

ومن جهة أخرى، توقف المؤلف عند الحركة الأدبية في مصر، غداة حكم "محمد علي" والدور المتميز الذي قام به بعد عودته من الدراسة في باريس. ويرى هوار أن محمد علي هو من يرجع إليه الفضل في تطور التعليم وتأسيس (دار الكتب المصرية)، التي مكنت الدارسين والباحثين من الوصول إلى المخطوطات العربية الأساسية في مختلف العلوم والفنون.

وفي مبحث آخر، تناول هوار الصحافة العربية في مصر، من حيث أصولها وأعلامها وأهم الصحف التي كانت تصدر في هذه الفترة، كما تناول الصحافة في لبنان وفي العالم أجمع، وختم الأستاذ هوار هذا المبحث بالحديث عن مستقبل الأدب العربي.

ومن ناحية أخرى، تطرق الأستاذ هوار إلى بعض الرحالة العرب، ممن قاموا برحلات علمية معاكسة إلى أوروبا، وأسهموا في نقل كثير من العلوم والفنون الأوروبية إلى العالم العربي، حيث يذكر في هذا الصدد (حسن أفندي توفيق)،

الذي قام برحلة عام 1891م إلى كل من ألمانيا وسويسرا، كما يشير هوار إلى أن المستشرق الفرنسي (Perron) قد التقى بالرحالة (محمد بن عمر التونسي 1789-1857م) في السودان. وقد أعجب بجمالية الوصف الأدبي في مدوناته عن الحياة الثقافية والاجتماعية في منطقة دارفور، مما حمله على ترجمتها إلى الفرنسية.

إن القارئ لكتاب هوار "تاريخ الأدب العربي" قد يخرج بنتيجة مفادها أن الأستاذ هوار تعامل مع محتواه بمعايير مزدوجة؛ حيث استند إلى منهج تاريخي مقارن، قائم على مبدأ التأثير والتأثر، وربط اللاحق بالسابق، فتبدو المقدمات وكأنها صحيحة لا لبس فيها، وبخاصة عند الحديث عن فترة ما قبل الإسلام، ولكن عند الحديث عن القرآن والحقبة الإسلامية، على سبيل المثال، فيبدو هوار متأثراً بدراسات استشراقية سابقة مجحفة، أو منحازاً لقضية تاريخية على حساب أخرى، دون الاستناد على أدلة تاريخية موثوقة علمياً أو حجج منطقية يمكن الاطمئنان إليها، تدعم ما جاء في هذا الجانب من ادعاءات تكذبها الوقائع والمنطق والتاريخ ، بل ويكذبها حتى كثير من المستشرقين الذين يسبح معهم على فلك واحد وفي نفس الاتجاه، حيث يقول بروكلمان في هذا الشأن: "إنَّ أكثر ما يُروَى من شعر أُمَيَّةَ هو في الواقع منحولٌ عليه، ما عدا

مرثيَّته في قتلى المشركين ببدر، وإنَّه إذا كان كليمان هوار، المُستشرق الفرنسي، قد زَعم أنَّ شعره كان مصدراً مِن مَصادر القرآن، فإنَّ الحق ما قَال تور أندريه من أنَّ الأشعار التي نظر إليها هوار في اتِّهامه هذا، إنَّما هي نَظْمٌ جمع القُصَّاص فيه ما استخرجه المفسِّرون من مواد القَصص القرآني، وأن هذه الأشعار لابد أن تَكون قد نُحِلتْ لأُمَيَّة منذُ عهد مُبكر لا يتجاوَز القَرن الأول للهِجرة، فقد سمَّاه الأصمعي: "شاعر الآخرة"، كما أراد محمد بن داود الأنطاكي أنْ يفتح القِسم الثاني في الدينيات من كتابه: الزهرة بأشعار أُمية[1].

ـ كتاب: "قونيا .. مدينة الدراويش"

عنوان الكتاب الكامل هو: (قونيا مدينة الدراويش الدوارين.. ذكريات رحلة في آسيا الصغرى) من تأليف المستشرق الفرنسي المخضرم الأستاذ كليمـــان هـوار، صدر باللغة الفرنسية عن (Ernest Leroux Editeur Paris)، عام 1897م يقع في 257 صفحة من الحجم العادي، موزعة على خمسة عشر فصلاً.

إن الكتاب عبارة عن مدونة لانطباعات وذكريات ووقائع تاريخية تم تسجيلها إثر رحلة داخلية، قام بها هوار في تركيا،

(1) كارل بروكلمان، تاريخ الأدبِ العَرَبي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار المعارف ط، 4 ج1 ، (د.ت) ص113.

على ظهور الخيل، من القسطنطينية إلى مدينة قونيا. وبالرغم من أن هذا الكتاب ينتمي فنياً إلى "أدب الرحلات"، ويتميز بطابعه القصصي، إلا أنه جاء حافلاً بأفكار ومرويات وأحداث، لا تخلو من فائدة للباحثين والدارسين في مختلف الميادين والمجالات التاريخية والأدبية، أو العلوم النفسية والاجتماعية والأنثربولوجيا، وعلم الأعراق والجغرافيا وفي الأدب وعلم الأديان والسياسة وغيرها. إن قسماً من هذا الكتاب يعد ضرباً من السيرة الذاتية للأستاذ هوار نفسه، فيما يعد قسمه الآخر كشفاً لمعالم مدينة "قونيا" باعتبارها العاصمة التاريخية للسلاجقة وعاصمة التصوف، حيث وصف هوار هذه المدينة ووصف أهلها، حكاماً ومواطنين، ورصد أشكالها الثقافية والاجتماعية. فالكتاب، في النهاية، هو سِجِّلٌ لكل ما انطبع في ذهن هوار عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط، يتآزر في ذلك الواقع والخيال، وأسلوب القص والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها. فتداخل في هذا الكتاب الذاتي بالموضوعي، وتناوبت فيه مجموعة من المسرودات والمرويات، منها ما يتعلق بشخصية الكاتب وبذكرياته، ومنها ما يتصل بالسرد الوثائقي الموضوعي والقصص الشعبي الخيالي.

لقد تساوقت أفكار الكتاب لتصنع مشهداً بديعاً، تناغمت

فيه مجموعة الآثار الأدبية الإبداعية، التي تعكس انطباعات المؤلف عن هذه الرحلة. فقد تعرض هوار بالوصف للمعاناة التي كابدها، وهو على ظهور الخيل، راسماً خارطة طريق القافلة ومسالكها ودروبها الوعرة عبر أدغال جبال منطقة الأناضول الشامخة ووهادها وسهولها. كما سجل كل ما شاهده من عادات وسلوك وأخلاق مرافقيه ومن يلتقيهم في طريقه، فقد سجل كل ذلك تسجيلاً دقيقاً فضلا على رسمه لمسالك وقسمات المناظر الطبيعية التي مرَّ بها.

إن هوار سرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، وصولاً إلى مدينة (قونيا) التي راح يصفها وصف الباحث الحصيف، والمتأمل الدقيق، والمعجب المشدوه، إذ استعرض مظاهرها الاجتماعية والثقافية، وأسلوب حياة سكانها وأصولهم التاريخية. ولم يكتف بذلك فحسب، وإنما غاص في تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي، فتحدث عن تأسيس الدولة السلجوقية وجذورها التركية الممتدة إلى أواسط آسيا الوسطى والوافدة على المدينة عبر مراحل تاريخية متعاقبة.

ويذكر هوار أن ساكنة مدينة قونيا هم جماعات من أصول تركية نزحوا من أواسط آسيا إلى غربها وصولاً إلى شرقي أوروبا ووسطها، لدواعٍ مناخية واقتصادية وأمنية، عبر حركة امتدت من القرن العاشر الميلادي إلى السابع عشر.

كما استعرض ظروف اعتناق أهل "قونيا" الإسلام لاحقاً. ويرى أن ساكنة هذه المدينة قد حَسُن إسلامهم وخدموه بإخلاص، مما رفع من شأنهم وقدرهم وقدر الأتراك جميعاً بين المسلمين، مما أتاح للسلاجقة تأسيس دولة لهم بغرض توحيد المسلمين تحت راية واحدة، فسيطروا على العراق وإيران، وهيمنوا على الخلافة الإسلامية، وحاربوا الفاطميين والإسماعيليين بغية توحيد المذاهب الدينية، تحت راية مذهب واحد، كما حاربوا الروم وانتزعوا منهم الأناضول.

يقرّ هوار بأن رحلته من " القسطنطينية " إلى "قونيا" كانت رحلة قاسية ومحفوفة بالمخاطر، وبخاصة أنها تمت على ظهور الخيل. وهي، كما يصورها بكثير من الرومانسية، عبارة عن مغامرة خطيرة نحو المجهول، امتزجت فيها حالات من الرهبة بالاطمئنان والجلال بالجمال، والخوف والقلق بالاضطراب، ولولا سهولة تواصل هوار باللغة التركية والفارسية مع مرافقيه ومع سكان "قونيا"، لكانت هذه الرحلة كابوساً كان سيظل يساور هوار طوال حياته، وربما لكانت انتهت الرحلة إلى مجرد سراب بلا جدوى.

وفي جانب آخر، نقل هوار وصفاً دقيقاً عن الرقصة الصوفية الدائرية لدراويش مدينة "قونيا"، وعدَّها هي الأخرى رحلة، لكنها رمزية روحانية، وإن جاءت مقيدة بإكراهات

الحيز الزمكاني، فإنها تدفع - في نظره- إلى التأمل المطول ورهافة الحس المشبع بالقيم الإنسانية. وربما رأى الكاتب في هذه الرقصة الأناضولية المثيرة للدهشة والاستغراب في العالم بأسره أهمية ما، بما تحمله من دلالات ورموز ومعانٍ سامية، مما حذا به إلى عنونة كتابه هذا بهذه الرقصة العجيبة.

إن هذه الرقصة قد أعادت هوار للبحث في الجذور التاريخية لمدينة "قونيا" الساحرة، الواقعة في الجنوب الغربي لجبال الأناضول. ويذكر هوار بأنها واحدة من أولى مدن العالم لعجائبيتها الثقافية والعقائدية الممتدة في أعماق التاريخ.

ولم يكتف هوار بوصف جمال هذه المدينة وجغرافيتها الخلابة فحسب، وإنما راح يبحث في تاريخ معالمها الأثرية الثقافيـــة والدينيـــة، فوصف كنيسة القديس (أمفيلوكليوس Amphiloclius)، فضلاً على وصفه دير مقبرة "جلال الدين الرومي"، المتوفى سنة 1273م، كما تطرق إلى معالم تاريخية أخرى ترسم ملامح شخصية هذه المدينة العريقة.

ومما يمكن استنتاجه أن هذا الكتاب في مجمله يأتي تمهيداً للموضوعة الأساسية التي يقوم عليها مشروع هوار حول الطريقة الصوفية المولوية، التي جاءت الرحلة من أجلها، والتي كانت من تجلياتها تلك الرقصة الصوفية الدائرية الساحرة، التي يتميز بها مريدو وأتباع جلال الدين الرومي في

مدينة "قونيا". وقد اختار الكاتب لمؤلَّفه هذا، جنساً أدبياً، أكثر شيوعاً في عصره، وهو الجنس الذي شاع على نحو واسع في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، تحت مسمى "أدب الرحلات"، كما أشرنا.

ومن المعروف أن "أدب الرحلات" كان استهوى معظم الكتاب الرومانسيين الموهوبين في تصوير المناظر الطبيعية الخلابة، وتاريخ شعوب المنطقة وثقافتها وعاداتها وتاريخها الديني في هذه الفترة.

وتشكل قونيا مركزاً قوياً لاستقطاب المعجبين والفضوليين، يجلب السياح عموماً، والأدباء والكتاب والعلماء خصوصاً، لأن لهذه المدينة رمزية خاصة، تاريخية ودينية وثقافية. ومن ثم لم يخرج هوار عن ذات السياق، واشتغل بأدوات عصره، الفنية والإبداعية لأدب الرحلات، والتي يغلب عليها الطابع الرومانسي.

ومن هنا، تنوعت فصول هذا الكتاب بين جملة من المسرودات التي يمتزج فيها الخيال الجامح، بلا حدود، بالواقع والحقيقة بالأسطورة، والحاضر بالماضي، فجاء مسرداً لأحداث ووقائع مسجلة بقلم شاهد عيان، فضلاً على أنه دراسة تاريخية جمعت بين ثناياها نصوصاً مهمة، في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والعسكرية، أصبحت لاحقاً

مَعيناً لا ينضب للعديد من الباحثين للوصول إلى المصادر المؤثرة في الماضي والحاضر. وبالرغم مما يشوب هذا الكتاب من عيوب لقدمه واهترائه من كثرة استعمالاته وفقدان بعض صفحاته وتلف بعضها الآخر، إلا أنه يعد قطعة أثرية أصيلة، دفعت المحافظة السامية للمكتبة الوطنية بفرنسا إلى تصنيفه ضمن التراث الإنساني العالمي، الذي يجب المحافظة عليه بقوة القوانين الفرنسية.

إن كتاب "قونيا مدينة الدراويش" قدم مزيداً من الحقائق عن عاصمة الإمبراطورية السلجوقية، أكثر مما تم تسجيله في المصادر البيزنطية والفارسية. فالأستاذ هوار لم يكن مجرد عابر سبيل أو سائح عابر يكتفي بتسجيل انطباعاته عن المشاهد المختلفة، وعن المواقع الأثرية والمباني التاريخية التي شاهدها فحسب، وإنما كان يتعامل مع كل ذلك، من منطلق الكاتب المرهف الحس، والباحث الفضولي الجاد، فجاء كتابه تسجيلاً مهما، يجمع بين المتعة الفنية والفائدة العلمية، ويغوص في أعماق الفنون الشرقية وتاريخها.

حيث وقف مطولاً عند النقوش على المساجد والأضرحة والكرفانات والقلاع من فترة السلجوقية، كما لم يفته أن يسجل، فضلاً على لقاءاته مع الدراويش الدوامة، كل كبيرة وصغيرة من تجاربه الخاصة، دون إغفال الإشارة إلى معارك

العصور الوسطى والأساطير الإسلامية، إلى جانب نصائح للمسافرين في المستقبل إلى هذه المنطقة سريعة التحديث. مما يجعل هذا الكتاب يمثل إحدى روائع الكتب التي تم تألفيها في هذه الفترة التاريخية.

لقد لاقى الكتاب رواجاً كبيراً في فرنسا وخارجها، بالنظر إلى مسروداته العجائبية المثيرة، التي جاءت لتشبع نهم المخيال الاجتماعي للإنسان الغربي بما يجهله عن الشرق. فالكتاب رسم صورة واضحة تخفي حقيقة غامضة لدى المجتمعات الغربية.

فالمؤلف، بحكم تخصصه في تاريخ الأديان والثقافة الشرقية، وإن كان لا يختلف عن غيره ممَّن كتبوا في هذا المجال، حاول الاشتغال على كشف الحجب عن عوالم معقدة غامضة، يتداخل فيها المعقول باللامعقول والرمزي بالتاريخي في منطقة الأناضول التركية.

توجد نسخة وحيدة من كتاب "قونيا مدينة الدراويش.." مسجلة، وفقاً لسياسة الحفاظ على التراث في المكتبة الوطنية في باريس. وبالرغم من أن ما يحتويه هذا الكتاب من أفكار ومرويات أصبح معظمها متجاوزاً زمانياً، فقد سُجّل ضمن تاريخ الأفكار في فرنسا، مثله مثل جل المؤلفات التي أنجزت على مستوى عال من الإبداع والطرح العلمي المتأدب في هذه الفترة الزمنية.

ـ كتاب مناقب العارفين:

يبـــدو أن هوار لم يشبع نهمه من التأليف في مجال التصوف والعقائد الباطنية. ولأغراض علمية صرفة، حسب زعمه، انبرى إلى تحقيق مخطوط "مناقب العارفين" وترجمته من الفارسية إلى الفرنسية في كتاب من جزئين، تحت عنوان "أقطاب الدراويش الدوامين"، تلافى فيه كثيراً من الأخطاء التاريخيـــة واللغوية التي شابت كتابه السابق "قونيا مدينة الدراويش"، وأخرجه في حلة جميلة تجمع ما بين المتعة الفنية والفائدة العلمية. حيث صدر الجزء الأول، عن دار أرنست Erneste Amand عام 1918م، في ثلاثة فصول موزعة على 393 صفحة، استهلها بمقدمة، أوضح فيها الأهداف العلمية التي ترجـــم هذا المخطوط من أجلها، من خلال ما تفيضه به السير الذاتية لأقطاب الصوفية المولوية من أفكار ذات الجدوى العلمية في الدراسات النفسية؛ كدراسة العُصاب والتنويم المغناطيسي[1]، حيث يقـــول: «هذه سيرة مؤسسي طريقة الدراويش المولوية التي عرفت في الغرب باسم طريقة (الدراويش الدوارون)، وهو الاسم الذي أطلقه عليها الرحالة

(1) تنظر مقدمة الجزء الأول من كتاب هوار:
Les saints derviches tourneurs, Tome 1.

المتعاقبون، الذين قاموا بوصف الرقصات الطقوسية للدراويش»[1].

خصص هوار الفصل الأول من هذا الكتاب لسيرة القطب بهاء الدين وأبناء الحسين وأبناء أحمد الخطيبي، والبلخي، ثم بكري. أما الفصل الثاني، فتناول فيه سيرة العارف بالأسرار الربانية، برهان الحق واد الدين الحسين والترمذي. أما الفصل الثالث فمحضه لجزء هام من سيرة قطب الأقطاب الصوفية المولوية، جلال الدين الرومي، تليه ترجمة مختصرة عن شمس الدين التبريزي، رفيق الرومي.

أما الجزء الثاني، فأصدرته نفس دار النشر عام 1922م، مشتملاً على ثمانية فصول، موزعة على 433 صفحة من الحجم العادي، استكمل فيه هوار الحديث عن جلال الدين الرومي وعن جانب مهم من سيرته الذاتية، ليتحدث في الفصل الرابع عن سلطان الفقراء شمس الدين محمد بن ملك داد التبريزي، الذي اختفى في ظروف غامضة، مشيراً إلى الأسرار الإلهية في أقطاب الصوفية بوجه عام.

وفي الفصل الخامس، تطرق إلى سلطان الأسرار "صلاح الدين فريذون"، الملقب بـ"زركوب"، رفيق "شمس الدين التبريزي". أما الفصل السادس، فكان لسيرة حسام الدين

(1) نفس المرجع.

الحسن بن محمد ابن أخي ترك. و"البسطامي والجنيد". والفصل السابع، فكان من نصيب سيرة القطب بهاء الدين ولد، الملقب بسلطان الأسرار.

أما الفصل الثامن، فتناول فيه هوار "جلال الدين فريدوذ" الملقب بقطب "الأبدال والأوتاد" وبعض الأبناء، واستعرض في سيرة شلبي شمس الدين أمير، وختم هوار كتابه هذا بفصل عاشر تحدث فيه عن أسماء أطفال وخلفاء القطب الكبير "بهاء الدين ولد البلخي".

وقد أبدع هوار في كتابة سير هؤلاء الأقطاب بأسلوب فني بسيط، لكنه مفعم بالمتعة والأناقة والجمال، سلط من خلاله الضوء على بعض الزوايا المظلمة، في الطرق الصوفية وأقطابها، بالاستعانة بعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا وغيرهما. وقد التزم في ذلك التسلسل التاريخي، وعرض الأخبار المتناقضة على التمحيص العلمي والمنطق، ومالت لغته السردية إلى السهولة والوضوح. مما يجعل عمله هذا إسهاماً جليلاً، في إعادة بعث فن السير والتراجم من جديد، في حلل فنية بديعة، ممتعة، مقدمة بما تشتهيه الأنفس وفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة، لتسليط الضوء على الجوانب الخفية من حياة المترجم له، الشخصية والاجتماعية.

أسهمت كتابات هوار، في مجملها، في إثراء المكتبة

العالمية ودوائر البحوث العلمية المهتمة بالعالم العربي، انطلاقا من خلفيته الثقافية والتاريخية والحضارية والسياسية والإيديولوجية.

بل وحتى بحكم نزعته العلمية الأنثربولوجية والإثنولوجية، التي أتاحت له الوقوف بالبحث والدراسة عند معتقدات وثقافات وعادات وتقاليد الشعوب الشرقية، وطرائق تفكيرها وسلوكها ومعرفة أسباب التأثير فيها، والكشف الدقيق على أبنيتها الثقافية وأنظمتها الاجتماعية، بغرض تحديد مواطن القوة والضعف فيها، وصولاً لرسم صورة بشكل يتماشى وإستراتيجية الأهداف والغايات التي وضعتها الدوائر الاستشراقية لضرب البنية العقلية العامة لهذه الشعوب، وتفكيكها وإبطال مفعولها لصالح مركزية العقل الأوروبي، من جهة، وإحكام السيطـــرة علـــى هذه الشعوب الشرقية ومقدراتها الطبيعية والاقتصادية من جهة أخرى.

ـ كتاب "البدء والتأريخ":

ترجم الأستاذ هوار كتاباً بعنوان: "البدء والتأريخ" في ستة مجلدات، إلى اللغة الفرنسية. وطبع هذا الكتاب في "شالون ـ باريس"، بين سنوات 1899 و 1906م. حيث ورد في المجلد الخامس، قوله: «قد اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى

الفرانسوية الفقير المذنب كلمان هوار قنصل الدولة الفرانسوية وكاتب السر ومترجم الحكومة المشار إليها ومعلم في مدرسة الألسنة الشرقية في باريس». وقال هوار فيه أيضاً: «لدى مطالعتي كتاب "تاريخ الفرس" الذي نشره العلاّمة "زوتنبرغ Zotenberg "، تحقّق لديّ أن مؤلف كتاب "البدء والتأريخ" هو "المطهر بن المطهر المقدسي". وقد ألفه سنة 355هـ، وقد نسب إلى أبي زيد البلخي استناداً إلى ما ذكره صاحب كشف الظنون، والغالب أن حاجي خليفة صاحب هذا الكتاب، قد اطّلع على النسخة التي بيدنا، وكانت هذه النسخة قد دخلت في ملــك الصدر الأعظم (الداماد إبراهيم باشا)، وكتب عليها -وهماً- أن مصنفها هو (أبو زيد البلخي" المتوفى سنة 340هـ)»[1].

إن كتاب "البدء والتأريخ" هو كتاب ضخم من كتب القرن الرابع الهجري، يعزى خطأ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، بينما هو في الحقيقة، على ما تذكر كثير من المصادر، للمطهر بن الطاهر المقدسي[2]. ومما يؤيد هذه الفرضية، أن النديم صاحب "الفهرست" لم يذكره في جملة مصنّفات أبي زيد

(1) ينظر كتاب : البدء والتأريخ، المجلد الخامس، ص (الواجهة).

(2) الشفاليه عبد الله بك رعد، مجلة المجمع العربي، الدروس العربية في الفرنسية، دمشق، 1925 ص 177.

البلخي. ويقال أيضاً إن البلخي أحد خمسة العلماء، من الذين ينسب إليهم تأليف (رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفا)، هو قول لا يزال يتحاج إلى دليل.

لقد عثر هوار على متن هذه النسخة المخطوطة الأصلية الوحيدة، على ما يبدو، في مكتبة (الداماد) إبراهيم باسطنبول، ولم يتمكن الأستاذ هوار من تحديد هوية المؤلف على وجه اليقين، حتى إنه غير رأيه في هذا الشأن، عندما نشر المجلد الثالث من نسخته العربية، في عام 1903م. ولا يزال السؤال عن هوية الكاتب قائماً ومطروحًا، لمزيد من البحث. وقد نَشَرَتْ كلتا الطبعتين العربية والفرنسية، دار النشر الشهيرة (أرنست لورو في باريس).

أما من حيث القيمة الفنية والعلمية لهذا الكتاب، فإنه يتميز بطابعه الأدبي الذي يتراوح، فنياً ما بين المتوسط إلى الحسن، وتغلب عليه كثرة النقول والاستطرادات، فضلاً على الحشو والإطناب، بالنظر إلى ما يتضمنه من مسرودات تاريخية شاملة، تتداخل فيها الحقيقة بالخيال، والأسطورة بالواقع، وتختلط فيها والآراء المستوحاة من التوراة والإنجيل، والمتلونة بتأملات المؤلف السطحية والجامحة بلا حدود. فهو كتاب يهتم بالتاريخ الإنساني والحضاري أكثر من اهتمامه بالأحداث، وينزع منزعاً فارسياً على حساب الثقافة العربية وبقية الثقافات الأخرى.

وبالرغم من أن كتاباً بهذه المواصفات المتواضعة، فضلاً على أنه مجهول المؤلف، إلى جانب كثرة الأقاويل والشكوك المتداولة إزاءه، التي تفيد بأن مؤلفيه ربما كانوا كثراً، تعاقبوا على تأليفه، في كل عصر ومصر. الأمر الذي قد يقلل من قيمته ويجعله غير ذي بال من الوجهة العلمية، على الأقل من منظور المعايير العلمية للحركة الاستشراقية آنئذ، ومع ذلك، فإن هوار قد حرص كل الحرص على ترجمته بأسلوب شائق جذاب، والاحتفاء به، على غير عادة المستشرقين في عصره، وكانت جهوده في دراساته وترجماته انتقائية، كما هو الحال لدراسته للحروفيين Hourouffis، وغيرها من الدراسات، التي تميل إلى الغرائبية والعجائبية، وتركز على تحقيق المخطوطات والكتب الإسلامية الشاذة في مجالها، لاسيما ما تعلق منها بالفرق والطوائف والأقليات العرقية والمذهبية. الأمر الذي قد يدفع البعض إلى التساؤل عن النيات والأهداف الحقيقية التي دفعت هوار إلى بذل قصارى كل هذا الجهد، واستغراق كل هذه المدة الطويلة من أجل ترجمة كتاب مثل "البدء والتاريخ"، البعيد كل البعد عن الروايات التاريخية الموثوق بها علمياً لدى كبار علماء الاستشراق في الغرب.

غير أن تلك النيات والأهداف لا يمكن البحث عنها في كتاب "البدء والتأريخ"، أو حتى كتابات هوار الأخرى فحسب،

وإنما ينبغي قراءتها ضمن السياق العام للجانب الخفي للحركة الاستشراقية الفرنسية على وجه التحديد، وخلفياتها الإيديولوجية والعقائدية، وتوجهاتها السياسية، وغاياتها وأهدافها الاستعمارية العامة، ذلك لأن هوار ينتمي إلى جيل يؤمن بالاتجاه العلماني القومي، الذي يحمل شعار تحييـــد الـدين –أيّ دين– عن الحياة العامة للناس، وإن كنا، نأخذ في الاعتبار أنه ليس من باب الإنصاف وضع جميع المستشرقين في سلة واحدة، وحشرهم في نفس الاتجاه. ومن هنا فإننا نرجح ما ذهب إليه علي حسني الخربوطلي حينما صَنَّف المستشرقين في ثلاثة أصناف.

إذ يقول: «فهناك فئة قدمت للعالم أبحاثاً قيمة وعميقة، وفي نفس الوقت كانت عادلة في حكمها، متزنة في دراستها، منصفة في نظرتها، فأشادت بالإسلام وبالرسول وبحضارتنا العربية الإسلامية. وهناك فئة ثانية تعمدت الإساءة، حينما أمسكت بالقلم لدراسة تاريخنا وحضارتنا، وإن كانت قد توصلت، في نفس الوقت، إلى أبحاث ذات قيمة علمية. أما الفئة الثالثة، فقد وقعت في المحظور، ولم تنصف الإسلام وتاريخه وحضارته، ولكن بدون عمد أو قصد، إما لجهل بالعقيدة ونظمها، أو قصور في البحث، أو لعدم تمكن في اللغة العربية»[1].

(1) علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، 1977، ص 98.

مختارات من كتاباته الفكرية والإبداعية

يعد هوار مصنفاً معرفياً وببليوغرافياً توثيقياً ومكتبياً متخصصا في تقنيات وضع الفهارس وكتابة التقارير الإدارية والسرد التاريخي، يهتم بتوثيق المعلومات أكثر من اهتمامه بالأفكار والإبداع. وإذا كان هوار قد أبدع في هذا المجال، فإنه كان أقل حظاً في مجالات أخرى، إلا ما تعلق منها بالترجمة وببعض الدراسات المتناثرة هنا وهناك.

كما أن أعماله التي تتضمن، في ثناياها أفكاره وإبداعاته، على قلتها، لم تنل حظها الكافي من النشر على نطاق واسع، على غرار نظرائه من المستشرقين في عصره، ويرجع السبب في ذلك إلى غياب جل تلك الأعمال من على رفوف المكتبات العامة ومعارض الكتب، وحتى عن المواقع المتخصصة على شبكة الإنترنت باستثناء بعض الصور الرقمية لنسخ عتيقة ومهترئة، فقدت كثير من صفحاتها، فليس هناك، أيّ دار من دور النشر بادرت إلى إعادة طبعها أو خصتها بالدعاية والإشهار، إلا نادراً، بالرغم من قيمتها المعرفية والببليوغرافية في وقتنا الراهن.

هذا لا يعني أنه لم تكن للأستاذ هوار كتابات تعكس

نواياه وأهدافه، وتبرز أسلوبه ورؤيته إلى العالم العربي. فقد وقفنا عند منتخبات تنم عن بعد نظره في تعامله مع الثقافة العربية الإسلامية. ومما اقتبسناه من تلك المنتخبات ما جاء في قوله، على سبيل الحصر والاقتصار[1]: "إنّ المستشرقين الفرنسيين شديدو الميل إلى درس أخلاق المسلمين ودينهم وآدابهم، حتى تَألّفت فعلاً مكتبة برمّتها...وفعلاً لقد تكوّنت هذه المكتبة التي ذكرنا». ثم يردف قائلاً: «يهتم العرب بالتاريخ بشكل رئيسي؛ لأنهم كانوا دعاة للإسلام. والدعوة للإسلام هي في حد ذاتها حدث استثنائي، يمكن مقارنته بأحداث أخرى مماثلة، غيرت وجه العالم في التاريخ، كما الحال في الأحداث التي كانت وراء قيام الإمبراطوريات الآسيوية العظيمة، أو حتى تلك التي كانت وراء الصراع الذي شهده حوض البحر الأبيض المتوسط من أجل الاستعمار والتجارة، وأدى إلى توسع الهيلينية، التي كانت تمثل أساس قيام الإمبراطورية الرومانية».

يتوجس هوار خيفة من امتلاك المسلمين ناصية العلوم والسيطرة على العالم، فيقول: «إن الدعاية للإسلام هي حدث

---

(1) ينظر: Clément Huart , Histoire des Arabes, Tome 1, Ed, Librairie Paule Geuthner, Paris 1912

غير سارّ، بل الأخطر من ذلك، فإن آثار هذه الدعاية لم تختف في ظلام الماضي المجهول، فهي لا تزال واقعاً نعيشه حتى مع فجر القرن العشرين. إن هذا الأمر يؤرقنا ويشغل حياتنا اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأننا مازلنا على اتصال بالإسلام، كدين أصبح يغطي أتباعه، المائتي مليون نسمة، جزءًا كبيرًا من العالم القديم؛ في إفريقيا، في آسيا، وفي أوروبا الشرقية، حيث يلتقي المسلمون بالحضارة الغربية، مما يجعلهم يتوقون إلى معرفة تقدم العلوم التي أدت إلى تطور أوربا وتقدمها».[1]

وعطفاً على ذلك يقول هوار متحسساً نقطة قوة المسلمين: «ينتمي المسلمون إلى أعراق متباينة ومختلفة اختلافاً كبيراً، لكن لديهم رابطًا مشتركًا يوحدهم جميعًا؛ إنه اللغة المقدسة التي لم يكتب بها القرآن فحسب، وإنما كُتِبَت بها السنة النبوية، ودُوِّنت بها مختلف التفاسير المتعلقة بالقرآن باعتباره كتاباً إلهياً سماوياً، إلى جانب تدوين لأحكام الفقهية وكل ما يتعلق بما يحافظ على كيان الأمة الإسلامية. فضلاً على تدوين العلوم العربية، والتي كانت في جلها صدى للعلوم اليونانية.. هذه الحقائق تملي على المؤلف اختيار برنامجه».

(1) Ibid.

وفي نظرة مبطنة، تختزل جانباً من رؤية هوار للعرب، يقول: «تخضع الزوجة للهيمنة المطلقة لزوجها (باستثناء أنه لا يستطيع بيعها في سوق النخاسة أو سوق العبيد)، وتتم هذه الجيزة عبر تعاقد يتم إبرامه مقابل ثمن يدفعه الزوج إلى والدي الزوجة، يسمى مهراً. ويعد المهر تعويضاً عن فقدان الوالدين لابنتهما بمقتضى هذا العقد».

ثم يردف فيقول: «إن العرب يحتفظون بالعادات القديمة، فإذا مرض لديهم طفل حديث الولادة أو أصيب بعجز ما، أو مات أحد أخوته للتو، فإن هذا الطفل يلقب باسم حيوان، ولاسيمـــا اسم الذئب أو الفهد، أو غيره من الحيوانات المتوحشة والمفترسة. وذلك أملاً في أن يكون لدى هذا الطفل شيء من القدرة على التحمل، ولديه شيء من قوة هذا الحيوان».

ويقول: «يجب أن نضيف أن العربي، بل وحتى المسلم، مقتنع بأن روح أحد أسلافه يمكن أن تحلَّ في هذا الحيوان أو ذاك؛ فبدو سيناء مثلاً يعتقدون أن النمر كان في البداية رجلاً. فيما أن بعض البدو الآخر لا يأكلون حيوان (شيبس سيرياكوس) لأنه شقيق الرجل. والشخص الذي يأكل منه لن يرى أباه أو والدته مرة أخرى... هناك بقايا ملحوظة للمعتقدات الروحانية...».

وعلى نحو من التناقض الصراح، يشيد هوار بأخلاق النبي محمد ﷺ، فيقول: لقد اتَّفقت الأخبارُ على أن محمدًا كان في الدرجة العُليا من شرفِ النفس، وكان يُلقَّبُ بـ"الأمين"، أي بالرجل الثقةِ المعتَمَدِ عليه إلى أقصى درجة، إذ كان المَثَلَ الأعلى في الاستقامة».

ويشكك هوار في تاريخ ديانة اليهود، فيقول: «لقد وجدت أن معظم المعلومات التي يوفرها التقليد الحاخامي متأخرة، ولا يمكن الوثوق بها لبناء حقائق تاريخية». وفي المقابل، وبالرغم من إشادته بأخلاق النبي محمد -ﷺ- وتشكيكه في تاريخ رواية الديانة اليهودية، فإنه يعاود الاتهامات المشككة في نبوته، في أكثر من موضع من مؤلفاته، باعتبار أن هذه الديانة تعد أحد مصادر القرآن. مؤكداً ذلك بقوله: «القرآن قطعاً متكون من أفكار يهودية ومسيحية، التي يُزْعَم بأن قسماً كبيراً منها تسرب إلى العرب عبر طريق مسيحيي الحيرة، ثم إلى أمية بن أبي الصلت، الذي تشكل أشعاره قسماً واسعاً من آيات القرآن»[1].

(1) Clément Huart, La poésie arabe antéislamique et le Coran, In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 48e année, N. 2, 1904. pp. 240-242;

أما فيما يتعلق بأوليات نشأة الشعر العربي، فيقول: «إنَّ الأسفار الطويلة على ظهور الإبل، حببت إلى العربي نشيد الألحان، يتلهى بها، ويشفي ما يصيبه من أوصاب ودوار، ثم أدرك العربي المنشد أو الحادي أنه كلما سارع في الإنشاد رفعت الناقة رأسها وأوسعت خطاها، كأن بين خطاها وأوزان الشعر ارتباطًا، فظهرت تلك الضروب عفوًا؛ لأنها ثمرة طبيعية من ثمار العبقرية البدوية». ولما نطق امرؤ القيس بقوله: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» لم يكن يدري أنَّ الخليل سيقول يومًا: «فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن».

ويرجع هوار سبب اختفاء الشعر السابق، قبل هذا التاريخ، إلى اعتبار: «أن الذكريات البشرية، ما لم يتم حفظها كتابة على الجدران أو الحجارة أو الأوراق، فإنها حَرِيَّة أن تضيع مع الأيام، ومن ثم يضيف قائلاً: فإن الشعر العربي الذي وصلنا لا يرجع إلى أبعد من القرن السادس الميلادي عندما استعملت الألفباء النبطية في تسجيل ذلك الشعر»[1]. وفي هذا السياق يرى «أنّ المعلقات جمع معلقة بمعنى القلادة؛ بدليل أنهم يسمونها أيضاً (السموط) بمعنى العقود والقلائد». ويؤكد قائلاً: «إن المعلقات لم تعلق على الكعبة المشرفة،

(1) Clement Huart, A History of Arabic Literature, William Heinmann, London, 1903.

لأن العرب كانوا أميين، لا يكتبون ولا يقرؤون».

أما في ما يتعلق بالفنون العربية والإسلامية، فقد أودع أبرز كتاباته الفكرية بشأن الخط العربي في كتابه "الخطاطون والمنمنمون Les Calligraphes Et Les Miniaturistes De L'orient Musulman:"، حيث يقول: «لا يمكننا أن ننجذب إلى دراسة فن الخط الشرقي بنفس الحماسة التي يكون عليها السكان الأصليون؛ حتى لو فهمنا مضمون هذا الفن، فإن الطريقة التي يسلكها هؤلاء الخطاطون والمنمنمون في أعمالهم مهما كانت أنيقة أو أقل من ذلك، تجعلنا في موضع اختلاف معهم تقريبًا. هذا لا يعني أننا لا نتحسس انتظام هذه الخطوط وخصائصها، ولا ندرك درجة وضوحها، أو لا نفهم الرسالة التي يمكن أن يتضمنها كل نقش أو كل خط عربي جميل، أو تعكسها صفحة جميلة لأي مخطوطة كانت، وإنما لأننا لا نود الدخول في تفاصيل العناصر المتعلقة بهذا الخط أو ذاك، مادامت هناك إمكانية تتيح لنا الوقوف على مدى المتعة التي يشعر بها العرب والفرس والأتراك إزاء هذا الفن، من خلال تحليل الميزات والخصائص المختلفة التي يتكوّن منها الخط الإسلامي»[1].

(1) Clément Huart Les Calligraphes Et Les Miniaturistes De L'orient Musulman Paris 1908, p04

يسجل هوار إعجابه وانطباعاته، حول مكانة الكتاب في الثقافة العربية، وتقديراً للأهمية التي يوليها العرب للكتب، مجارياً في ذلك كثيراً من المستشرقين في هذا الصدد، إذ يقول: «هناك ضرورة لا غنى عنها للمحافظة على الأعمال المميّزة ونشرها، والتي من دون مثل هذه الرعاية، كانت ستولد وتموت في نفس القرن الذي ظهرت فيه، لكن بمجرد أن أصبحت الثقافة الفكرية شغفًا لدى العرب، كان هناك الناسخون الماهرون، والخطاطون المتميزون، الذين سعوا، وفي وقت واحد، لمضاعفة الأعمال القيمة والمحافظة عليها بنسخها في أشكال أكثر متعة وأناقة وجمالاً، يحق للأمة الإسلامية أن تفخر بها».

يرجع هوار سبب ازدهار بعض الفنون الإسلامية دون غيرها إلى: «أن تحريم تصوير ذوات الأرواح حال دون تطوير الفنون التشكيلية لدى المسلمين، بينما العمارة والفنون الحرفية حافظت على وجودها، أما الرسم والنحت، فقد انحصرا في المنمنمات والزخرفة في ميدان فن العمارة». وأما فيما يتعلق بالخط العربي، فيقول: «منذ أن ظهر فن الخط العربي إلى الوجود، تركزت جماليته في أشكال الحروف ذاتها كوسيلة للزخرفـــة، مثله مثل الأربيسك». ويسوق مثالاً على ذلك، فيقول: «إن بعض المزهريات المزخرفة بحروف منفصلة

ومتباعدة ليس لها معنى محدد، مما يدل على أن الجمالية، إنما تكمن في شكل الحروف ذاتها والتي تمنحها وظيفة ما، بعيداً عن اعتبار معاني الكلمات». ويرى هوار: «أن فن المنمنمات ليس خادماً أو تابعاً لفن الخط العربي". ومن أجل فهم أعمق لهذه الحيثية تجدر: "دراسة قواعد فن الخط العربي، وتفاصيل خط الحروف، وفق مختلف أنواع الكتابات". ويستنتج هوار أن هذه الدراسة "تعكس مدى اهتمام الفرس والعرب والأتراك بسحر وجمالية فن الخط، وشغفهم الكبير به».

إن المتأمل في هذه المختارات الفكرية والمتعلقة بفن الخط العربي، سواء كانت حروفاً وأشكالاً وزخرفة وفسيفساء، سيلفي أن هناك التفاتة سيميائية ذكية من هوار، قام بها قبل ظهور المنهج السيميائي المعاصر إلى الوجود في الأوساط الفكرية والنقدية الغربية، باعتبار أن الخط العربي خطاب بصري بليغ ينتظمه نسق غير لغوي دال، يحيل على ثقافة بالغة الغزارة والتنوع، مادته الأشكال والألوان.

وهذا مما لا شك فيه موجود لدى العديد من المسشرقين، لكن أن يختلس هوار نظرته للخط العربي من زاوية عقائدية باطنية، ثم يستدل عليها بترجمة مذهب منحرف يدعى "الحروفيون Horouifisime"، فهذا يخرج هذه النظرة من باب الموضوعية، وينقلها إلى الرؤية والتأويل.

إن "الحروفية" مذهب شيئي ليس كبقية المذاهب، لا يتجاوز تفسير المحسوسات، ولذلك لم يثر حماس الباحثين في هذا الميدان، لكونه خليطاً من الآراء الفلسفية والديانات القديمة المبتذلة وعديمة الجدوى.. ومن الغرابة بمكان أن الأستاذ هوار أفرد كتاباً كاملاً لهذا المذهب المستهجن والممجوج، وحاول فيه ربط القرآن بما تضمنه من آراء متهافتة. وربما يأتي ذلك استكمالاً لمشروعه في سبيل نفي صفة الأصالة والفرادة عن القرآن.

ولا أدل على ذلك من انتقاء هوار بعناية فائقة لطائفة من القصص والأخبار؛ كقصة آدم والفاكهة المحرمة، وطور سيناء، وسليمان، وما شابه ذلك مما ورد في التوراة والإنجيل. وقد اختار آيات معينة، كان تَمَحَّلَ في تفسيرها "فضل الله" صاحب هذا المذهب وأتباعه، وفسروها تفسيراً مغلوطاً، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

وبالرغم من أن "الحروفية Horoufisime"، كما يعترف هوار بذلك صراحة، بأنها «مذهب يقوم على شواهد مادية حسية مثل الخطوط والحروف، وخاصة حين يعتبر أصحاب هذا المذهب أن الكلمة الإلهية يجسدها 28 حرفاً من الأبجدية العربيـــة التـــي تؤلف القرآن كله، مع الأخذ بعين الاعتبار الحروف الـ 32 من الأبجدية الفارسية التي تحدث عنها فضل

الله في هذا السياق، حيث يدعي بأن البحث عن الله في الوجود سيتم بواسطة هذه الأرقام: 28 و 32، وأن حقيقة خلق الله آدم على صورته، متفوقاً على جميع مخلوقاته، سيكون كافياً لتحديد 28 و32 علامة في آدم كمظهر، وتحديد الكمال من 28 و 32 حرفاً، وبمقتضى هذا التحديد يتجسد أحد مظاهر الإله المزعوم»[1].

وتعزيزا لهذا المسعى أَلَّفَ هوار كتاباً أسماه "دين الباب"، حيث خلص فيه إلى: «... أن الباب أنشأ ديناً جديداً بتعاليمه وعقائده وأنشأ مجتمعاً جديداً تحت ستار إصلاح الإسلام»[2].

وبالرغم من تشكيك هوار في وجاهة هذا المذهب، إلا أنه سماه "ديناً جديداً"، قد بذل قصارى جهده في ترويجه، بما قد يُفهم من أن هذا الكتاب يأتي نقداً للذهنية الدينية العربية الإقصائية التي لا تسمح بتعايش الأديان في نظره، حيث يقول: «لا يستطيع أي مسلم -حتى الأكثر بساطة- الاقتراب من إصلاح ديني يأتي إلى العالم من دون كتاب إلهي

---

(1) ينظر كتاب:

Clément Huart, Textes persans relatifs à la secte des Houroûfîs (1909)

(2) Clément Huart, La religion de Bab, réformateur persan de 19e: siècle, Paris 1889.

موحى من السماء. فهو السبيل الأوحد أمام الأتباع من غير المسلمين بالحصول على مركز شرعي في المجتمع الذي أنشأه نبي العرب»[1].

ومما ورد في ترجمة هوار ما ادَّعاه "الباب" في كتابه البيان «...إن الله واحد، محمد وعلي مرآته، التي ينعكس فيها النور الإلهي. ويتأتى لكل إنسان أن يشاهدها. عليكم أن تجعلوا من أنفسكم ومن أعمالكم مرايا، بحيث لا ترون فيها إلا الشمس التي تحبونها، وقد خلق الله العالم على سبع صفات، سميت حروف الحقيقة. وهي القدر والقضاء والإرادة والمشيئة والإذن والأجل.. ويحج أتباع الباب إلى البيت الذي ولد فيه حيث يقام له مسجد، أو إلى المكان الذي سجن هو فيه أو خاصة حواريه، ولا يسمح لمن يدينون بمذهبهم بالارتحال والسياحة إلا لمن اضطر إلى ذلك ، ولا يسمح بركوب البحار منهم إلا للحجاج والتجار، ولا تقام صلاة جماعة إلا على الأموات، وخطبة المسجد واجبة، ويدفن الموتى في زجاج أو في حجارة منحوتة مصقولة، ويجعل في يد الميت اليمنى خاتم، يُكتب على فصه «لئلا يفزع الموتى في قبورهم». ويؤخذ من مجموع أقواله أن "البهائية" أو "البابية" ترمي إلى

(1) Ibid, p23

تطبيق الشرائع السماوية على العقل، وحلّ المشكلات القائمة بين أهل الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام»[1].

ـ أسلوبه ورؤيته للعالم العربي:

-أسلوبه :

هذا فيض من غيض من كتابات هوار التي يبدو فيها أسلوبه أسلوباً علمياً متأدباً، مستمداً من روح عصره، حيث يتميز بسلاسة العبارة وسهولتها ودقتها ووضوحها، سواء على مستوى الترجمة أو التأليف، ويخلو من الزخرف اللفظي والتكلف والتعقيد، يثير في القارئ إعمال التأمل الطويل والتفكير الدقيق والفهم العميق، كما يخلو من الألفاظ المهجورة والعبارات المسجوعة التي لا تحرم القارئ من التذوق والمتعة الجمالية، إلا ما جاء عفو الخاطر، بما لا يثقل على السمع يحرص هوار خاصة في كتاباته التاريخية على تقصير العبارة المجردة الخالية من التزويق والحشو. ويمكننا أن نطلق على أسلوبه عموماً بأنه الأسلوب السهل الممتنع، سواء على مستوى الترجمة أو التأليف.

---

(1) ينظر: Clément Huart, La religion de Bab, chapitre 14, p 40 ومحمد كرد علي، خطط الشام، ج 6، مكتبة النورين دمشق، ط2، (د.ت).

وإذا ما حاولنا مقاربة أسلوب الأستاذ هوار في سياق الحركة الاستشراقية في عصره، فإننا نجده- في مختلف أعماله- مستوحى من أساليب الأدب المقارن ذي الصبغة التاريخية، على اعتبار أن "الأدب المقارن" له أساليبه وخصائصه ومميزاته وأهدافه ومنطلقاته ومآلاته؛ لأن طبيعة موضوع الدراسة التي يتناولها المستشرق لا تخضع بالضرورة، في أغلبها، للذوق الشخصي أو العواطف والأهواء الذاتية التي تحكمها معايير "الفن" أو "الجمال"، وإنما تفسر في ضوء الحقائق التاريخية.

ومن هنا يمكننا القول بأن لأسلوب الأستاذ هوار عدة سمات ومداخل متباينة، تسير في عدة اتجاهات متوازية حيناً، ومتقاطعة في أحايين كثيرة، بما يجعل طريقته في التفكير طريقة مخصوصة لمقاربة القضايا المطروحة، غالباً ما تركز على العامل الزمني في المقارنة، بين ما هو معرفي وعرقي وإيديولوجي، بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، وبذلك لا يحدد أسلوب هوار عموماً، في ضوء ما كتبه عن العرب فحسب، وإنما يتحدد - كما يقول مالك بن نبي- من خلال من يقوم به من المستشرقين، وبما كتبوه عن الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام[1] .

(1) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مجلة الفكر العربي، يونيه 1983م، السنة الخامسة، ص130، 131.

وما استنتجناه من أعمال هوار لا سيما التاريخية منها، أنها جاءت مؤطَّرة برؤية ابستميولوجية تمتح مقوماتها من نظريات سياقية، تبحث في أصل الأشياء بخلفية داروينية، وهو ما تجلى في مثل دراساته عن (أصل الشعر العربي، جذور الطوائف والفرق الدينية، مصادر القرآن...)، أو تبحث في الرموز والبنى النفسية، في ضوء نظرية التحليل النفسي، مثلما هو الحال في دراسات هوار حول السير الذاتية لأقطاب الصوفية، وطقوس أتباع ومريدي هذه الطريقة أو تلك.

ومن هذا المنظور نستطيع أن نقول، على ضوء الحركة الاستشراقية الفرنسية، بأن أسلوب هوار يأتي ضمن شروط ومعايير محددة، أفرزتها الروح العلمية والاعتبارات الإيديولوجية، في هذه الفترة، من أجل الوصول إلى الحقائق المبثوثة في الظاهرة المدروسة.

مما يعني أن الدارس لأعمال هوار، يحتاج إلى معرفة وثيقة بمختلف العلوم والمعارف، التي تميزت بها الظاهرة الأسلوبية والمنهجية الاستشراقية في أبعادها الذاتية والموضوعية، في سياقها التاريخي، وهو ما يستدعي استخدام منهجية قائمة على قوانين المطابقة والمقابلة للموازنة بين المواضيع التي درسها هوار، سواء كانت تلك الأعمال تاريخية، أو أدبية أو فنية، أو حتى دينية، من جهة، وبين كتابات المستشرقين، التي تمت في ذات الاتجاه، من جهة أخرى.

وهو ما يدفعنا للاستنتاج بأن هوار يتميز بأسلوبين؛ أما الأول، فأسلوب المترجم الذي ينتقي كلماته بدقة للوصول إلى المعاني بأقصر السبل، والذي يسعى فيه لترجيح المعادل في الترجمة على المقابل الشكلي لتوصيل المعنى المراد إلى المتلقي.

وأما الثاني، فأسلوب الدبلوماسي المحنك والحاذق، الذي يستخدم الكلمات الناعمة للوصول إلى مبتغاه بالدرجة المرجوة، دون أن يثير من حوله ردود الأفعال، فحين يكتب عن قضايا تاريخية مثلاً، يتوسل بالمنهج التاريخي الفرنسي الكلاسيكي، القائم على مبدأ التأثير والتأثر، منطلقاً من أحكام مسبقة مع مصادرة النتائج لصالح المقدمات، مما جعله يسقط في كثير من المزالق والمطبات، وجعل آراءه عرضة للنقد، ليس من دوائر علمية متخصصة فحسب، وإنما أيضاً من مواقع سلفية ويمينية ودينية، تحكم على كل تلك الأعمال، في أحسن الأحوال، بالخلط أو العشوائية أو تدرجها، في أسوئها، ضمن نظرية المؤامرة اليهودية المسيحية، لتدمير الإسلام والمسلمين. ولعل من بين من يمثل هذا الاتجاه: الرافعي، والشيخ الأزهري محمد الخضر حسين، والدكتور عبد اللطيف الطيباوي، الذي يرى أن المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام هم من المؤمنين بأن القرآن كلام الله الموحى. في

حين يرى الدكتور محمد البهي أن الذي يعد الدراسات الاستشراقية عبارة عن تبشير صريح لرد المسلمين عن دينهم. بل إنه يصف (دائرة المعارف الإسلامية) بأنها أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن، ومصدر الخطر في نظره هو أن المستشرقين استطاعوا أن يعبئوا قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، التي أصبحت مرجعاً لكثير من المسلمين، بالرغم مما فيها من خلط وتحريف وتزييف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين، بما أضفوه عليها من وجهات نظر مغالطة، خلعوا عليها بعض الصفات العلمية [1].

- رؤيته للعالم العربي:

على ضوء ما تقدم من منتخبات، فإن رؤية هوار للعالم العربي تبدو محكومة نسقياً في الثقافة الغربية بثنائية (الأنا والآخر)، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من رؤية أشمل لصورة العرب في عيون الغرب. وهي صورة ذهنية، في الغالب، تأتي نمطية سلبية مطلقة في المكان والزمان ومجاوزة لحركة التاريخ، تستمد مقوماتها من نسق ثقافي قائم في مخيال اجتماعي متطاول في تاريخ، متوارث جيلاً عن جيل، يتغذى باستمرار

(1) ينظر كتاب: محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1961.

بجملة من المواد الأيديولوجية والسياسية والعقائدية وغيرها، ومن ثم فإذا تكلم هوار، فإنما الضمير الجمعي الثقافي الغربي لهذه الرؤية هو الذي يتكلم فيه، ليس من منظور سطحي ينزل بالرؤية إلى مستوى الانعكاس الآلي والتعبير المباشر، وإنما تستمد قوامها من رؤية العالم الأوروبي المتعالية في شموليتها إلى العرب.

لقد نظر هوار إلى العالم العربي من زاوية ترتفع إلى مستوى العلاقة الجدلية، بين مؤلفاته والواقع المعبر عن شمولية الرؤية ترجمة وكتابة، باعتبار الترجمة والكتابة تشكلان مستوى من مستويات الحضور الثقافي والحضاري، الذي يعكس العلاقة الجدلية التاريخية بين الغربي المتفوق حضارياً والإنسان العربي المهزوم.

فالصورة، عندئذ، التي رسمها هوار عن العرب في أعماله، هي صورة ذهنية نامية ليس في إطار الوعي الجمعي الغربي فحسب، وإنما في لاوعيه أيضاً. ومن ثم لا يمكن القبض عليها بسهولة من أول وهلة بين ثنايا تلك الأعمال، وإنما يمكن ملاحقة عناصرها عبر محطات عديدة من نشاطاته الاستشراقية. بالرغم من أنها لا تكاد تخرج في النهاية على الإطار العام للمستشرقين، باعتبار العرب شعباً بدوياً مغرماً بالغزو والنهب والسلب، يكره الآخر، وأن الإسلام دين غير متسامح.

ومع أن كتابات هوار امتازت بروح البحث وجودة التأليف، فإن أغلبها جاء تثبيتاً لقوالب جامدة، تعمل على تشويه الوقائع السياسية والاجتماعية والتاريخية، وتسعى للتبسيط المخل للقضايا المعقدة، وإطلاق أحكام أخلاقية مسبقة على الرموز والشخصيات السياسية، دون أن ننسى الإشارة إلى أن بعض كتبه حفل بكثير من الأخطاء المتعلقة بالمضمون والسرد التاريخي.

ومن هذا المنظور يمكن القول بأن هوار قد أسَّس رؤيته على موروث حضاري وثقافي تتجلى في ضوئه نظرة الغرب إلى الشرق وسحره، باعتباره أرض الغيبيات والأساطير التاريخية والعادات الغريبة ومهد الديانات والحضارات والفلسفات والأفكار العظيمة، التي قد لا يستسيغها العقل الغربي، ولكنها تجذبه انجذاباً بقوة نحو اكتشاف ذلك العالم الغريب والعجيب، في الوقت ذاته.

وإذا أمعنا النظر في كتابات المستشرق هوار، نجد أنها لا تخرج عن هذا الإطار، فقد تعددت، بل وتلونت تبعاً للدولة التي زارها وعاش فيها، فترة بين أهلها، حيث جاءت كتاباته انعكاساً طبيعياً لما شهده ورآه، وما عرفه عن أهلها وأرضها وثقافة شعبها، لكن بوصفة أوروبية عمودية، أعلاها الغرب وأدناها الشرق.

وقد يكون هوار انبهر بعجائبية العالم الشرقي، ولا ريب

في ذلك، فنظر إلى هذا العالم بعين الرضا والإعجاب والقبول تارة، وبعين الرفض والسخط والريبة وعدم الاطمئنان تارة أخرى، وشأن كل عجيب أن تمتد المجاذبة والمنافرة، فتارة إلى الإعجاب فالتمجيد، وطوراً إلى الاستغراب والاستعجام، وبين هذا وذاك شطط في الفعل ورد الفعل، وجدل تواكبه أسئلة متشعبة كثيرة. وفي الحالتين تتشكل أعماله مواقف معينة، تحدد رؤيته في نهاية المطاف، إزاء العام العربي. من خلال ثقافته وتجاربه، التي مرَّ بها هوار في الشرق الأوسط، يمكننا تحديد، بقدر كبير، درجة قبوله للأفكار الغريبة عنه، والقصص السحرانية التي يرويها، والنتائج التي يصل إليها. ولقد شعرنا من خلال كتاباته أنه معجب إلى درجة الافتتان ببلدان الشرق الأوسطية وبثقافة شعوبها، فهام بالترجمة والتأليف عنها.

فنقل عن العرب صورة لاعقلانية مطلقة وسابحة عبر التاريخ. وهي الصورة التي لم يشكل فيها هوار استثناءً عن المسشرقين الذين أعجبوا بالشرق، و«مالوا شديد الميل إلى درس أخلاق المسلمين ودينهم وآدابهم، حتى تألفت مكتبة برمتها من ثمرة أفكار المسشرقين والمستعربين»[1].

(1) ينظر: (الدروس العربية في فرنسا لكليمان هوار)، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج 4، المجلد 5، 1925.

لكننا نعيد فنذكر بأن هوار هو أحد أعضاء الدائرة الضيقة في الحكومة الفرنسية، وهي حكومة استعمارية، لها أطماعها الاقتصادية وأهدافها القومية والسياسية، في الشرق الأوسط. ولا نتصور أن أعضاءها لا يتحركون وفقاً لتلك الأطماع والأهداف والغايات. فالأستاذ هوار لم يخرج من بلاده على رأس جمعية خيرية، قاصداً الشرق العربي، لتوزيع المعونات، أو لنشر المحبة والسلام، وإنما كان يحمل في حقيبته بنكاً من الأهداف والغايات، مطلوب منه تنفيذها على الوجه الذي ترتضيه حكومته، لتحقيق نتائج معينة مرسومة سلفاً بعناية، وفقاً لمشروع استعماري نسبي، محدد الغايات، في الزمان والمكان.

مما يعني أن هوار لم يدخل إلى عالم الشرق لاكتشافه ومعرفة أوجه ثقافته، من باب الفضول العلمي فحسب، وإنما كان ينطلق، في كتاباته، من مبدأ المصالح العليا لحكومة بلاده، لمعرفة أسباب قوة هذا العالم ومواطن ضعفه. ويأتي ذلك في سياق ما يمكن أن نطلق عليه (العصاب الحضاري)، الذي بدأ يعاني منه الغرب المسيحي، منذ البعثة المحمدية، وتعزز مع الحروب الصليبية.

وهو ما تمت ترجمته، في شكل كتابات ومؤلفات وشروح كثيرة، تعمل على تشكيل انطباع متوجس من خطر المسلمين وديانتهم، على العالم المسيحي في أوروبا، بل على العالم كله.

وجدير بالذكر أن حالةً من الرُّهاب قد هيمنت على جل المستشرقين في هذا العصر، تتمثل في أن الإسلام في حالة توسع سريع في الصين وأفريقية، حيث يستمد مكانته من الممارسات الفردية للمؤمنين الأقوياء، مما جعل هوار يرى أن المذهب السني هو ما سيقود حركة هذا التوسع، فكل يوم يكسب أنصاراً جدداً. وفضلاً على ذلك، كان هوار يعتقد بأن القرن العشرين سيتميز بانتصار المذهب السني على الهرطقة[1].

ولم يغب عن ذهن الأستاذ هوار وهو يحمل صفة المستشرق العملي الممتاز، أن «الشرق أسبق إلى تدوين العلوم من الغرب، وأن المشارقة هم أول من نظموا الشعر، وعالجوا الأمراض، ووضعوا الشرائع، ورصدوا الكواكب، وعينوا أماكنها وسمَّوْها بأسمائها، والغرب في غفلة وظلام دامس..». كما أنه لم يغب عنه أن «أكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الأتربة، في مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند، وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والبابليين والمعينيين والحميريين والحثيين وغيرهم»[2].

---

(1) حامد الظالمي، دراسات المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1982.

(2) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة دار الهلال، ج1، (د.ت) ص15.

وهو موروث، يقول عنه إدوارد سعيد بأنه: «مثقل بالتراكمات النفسية ومشاعر ضاغطة مسيطرة على حركة الفكر، مؤثرة في السلوكيات والمواقف"[1]. وهي رؤية أُنشئت لتشكيلها مدارس استشراقية، تعمل على إعادة «توزيع الوعي الجغرافي السياسي، إلى نصوص جمالية وبحثية واقتصادية واجتماعية وتاريخية وفقه لغوية»[2].

ويبدو أن هوار كان يأخذ بتحذيرات معاصريه من المستشرقين، الذين تربطهم به صلة زمالة عمل، في دوائر الحركة الاستشراقية، والذين لا تنفك أصواتهم ترفع بوسم الإسلام بالخطورة المحدقة على العالم الغربي. وفي هذا السياق عبَّر المستشرق الإنجليزي (لورانس براون 1862-1926)، المتخصص هو الآخر في تاريخ الأدب الفارسي، عن رأيه من "سطوة الإسلام" وقوته وسرعة انتشاره داخل المجتمعات البشرية، إذ يقول: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته... إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي»[3].

---

(1) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ط 7، 2005، ص 46.

(2) نفس المرجع ص 46.

(3) محمد حسن الصغير، المستشرقون الألمانيون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، لبنان، 1983، ص28، 27.

ولذلك، لا يتردد هوار في أن يتخذ من الروايات والأخبار ومن القصص الشعبي الخرافي، المتداخل الثقافات مرتكزاً لتشويه حقيقة الإسلام، كأن يرى، في روايات "وهب بن منبه"، لأحاديث منسوبة إلى النبي محمد -ﷺ- بغير أسانيد صحيحة، تتداخل فيها الإسرائيليات بالخرافات والأساطير بالعقيدة المسيحية، مصدراً من مصادر الإسلام. بما يعزز موقفه الاستشراقي إزاء العرب ومعتقداتهم الدينية، والزعم بأن الإسلام عقيدة ملفقة لا علاقة لها بالسماء، وهو من صناعة المخيال الشعبي العربي، ليس إلَّا.

الأمر الذي يجعلنا ندرج الأستاذ هوار ضمن فئة رابعة، لم يذكرها الدكتور علي حسني الخربوطلي في كتابه "المستشرقون والتاريخ الإسلامي"[1]، ورأينا أنه ينتمي إلى فئة من المستشرقين القلائل، الذين يجمعون بين الإنصاف والإجحاف، في الآن نفسه، في أعماله الاستشراقية، فيكون منصفاً حين يريد الأنصاف، ومجحفاً حين يريد الإجحاف.

فالأستاذ هوار سياسي ودبلوماسي محنك، يجيد اللعب على المتناقضات لدواعٍ سياسية ودبلوماسية، أكثر منها علمية وثقافية، مما جلب له المدح حيناً والذم حيناً آخر، باعتبار أن

(1) علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، 1977، ص98.

إساءته للإسلام والمسلمين لم تكن بالغة السوء، بل كانت محدودة وتدور في دائرة ضيقة، قد تغتفر بالنظر إلى مجمل الأعمال التي قدمها للمكتبة العربية الإسلامية والمكتبات العالمية، ولكن هذا التصنيف لا يُعَدُّ، بأي حال، شهادة براءة أو شهادة مجانية على حسن سيرة وسلوك للمستشرق هوار مما اقترفه في حق تاريخ وحضارة الشعوب الشرقية بأكملها، ومازالت آثار تلك الإساءات، على قلتها، قائمة إلى يوم الناس هذا. ويرى البعض أن آراء المستشرق هوار مازال صداها مدوياً في أوساط العديد من المستعربين والمستشرقين المعاصرين، كما هو الحال لدى المستعربة الفرنسية (جاكلين الشابي) والمفكر الجزائري (محمد أركون) والمفكر المصري (نصر حامد أبو زيد).

ولعل من أخطر ما كتب هوار، كما أشرنا، هو ما جاء في مقال له، نشره في "الجريدة الأسيوية"، سنة 1904م، تحت عنوان "ذكر أصل جديد للقرآن"، زعم فيه بأن القرآن منتحل ويتناص، في كثير من آياته، مع شعر أمية ابن أبي الصلت و"انتهى أيضاً في ذات المقال إلى "الادعاء بأن كتب التفسير منتحلة من تراث أهل الكتاب، حيث يقول: "إن مقاطع كثيرة من تفسير الطبري... مرتبطة بمثلها في (سفر التكوين)، الذي يعرض للروايات اليهودية والنصرانية، وكان "وهب بن منبه"،

هو الطريق الذي انتقلت بواسطته هذه الآثار، في نهاية القرن الأول للهجرة[1].

وقد تأتي تلك المزاعم، في سياق تأثر الأستاذ هوار بنظريات العلم، ومنها النظرية الداروينية، التي ترى أن المعرفة الإنسانية، ومنها المعرفة الدينية تاريخية، إنما تنشأ وتنمو كما ينشأ وينمو الكائن الحي، وتتطور تدريجياً، وهي النظرية التي ثبت لاحقا بطلانها، من وجهة علمية، لكن هذا لا يسقط احتمال استغلال هوار لهذا الاتجاه، لأغراض واعتبارات سياسية، من منطلق أن هوار، كان عضواً في الحكومة الفرنسية، وعلى قدر كبير من الحنكة والدهاء الدبلوماسي وطول النفس في البحث والاستقصاء. وهو الأمر الذي يؤكده المستشرق "بلاشير" في مقدمة أحد كتبه عن أن اهتمام المستشرقين بالقرآن، ترجمة ودراسة، كان موجهاً لغاية سياسية، هي فهم البيئة الإسلامية ومعرفة العالم الإسلامي، حيث يقول صراحة: «قد أتيح للعالم الأوروبي خلال ثلاثة قرون من الزمن، وبفضل هذه التراجم - (يقصد ترجمة القرآن) أن يفكر بأنه ملك المفتاح لحديقة سرية كان يحلم بدخولها»[2].

---

(1) Clément Huart, «Wahb ben Mounabbih, et la tradition du Judéo Chrétienne au Yémen» .Journal asiatique, 10 série Tome 4, p350.

(2) بلاشير، القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984، ص20.

لم تكن كتابات هوار كلها إساءات ومطاعن صارخة، لأنه كان يتميز بذكاء ومهارة لا يتصف بها إلا الدبلوماسيون المتمرسون من أمثاله في هذا المستوى من الحنكة الدبلوماسية والسياسية. لذلك، فلا غرو، عندئذ، أن تأتي إساءاته ناعمة بغير إسراف أو إجحاف واضح، وتتوزع متناثرة بين صفحات عديدة من مؤلفاته، فغالباً ما تجري تلك الإساءات مقتضبة ومقتصرة على سطور معدودة هنا وهناك، لا يتفطن إليها إلا متخصص حاذق في هذا المجال. وربما هذا ما مَكَّن الأستاذ هوار من أن يتوارى عن الأنظار، ويَفْلت من دائرة الاتهامات وسهام النقد، التي عادة ما تطال من هم على شاكلته من المستشرقين، من طرف الاتجاه اليميني المتشدد، والعلماء في العالم الإسلامي.

ولعل المتأمل في دراسات هوار وأبحاثه حول تاريخ الطوائف والعقائد الباطنية للشعوب الشرق أوسطية، قد يغلب عليه الظن والتخمين، وربما الريبة أحياناً، أو هكذا نرى بأن هوار يبدو كمن يقدم كوباً من العسل، عمداً أو سهواً، الذي يأتي حلو المذاق مستساغاً للشاربين، لكن فيه قطرات من السم كافية للقضاء على الحياة.

وهو ما قد يتبادر إلى الأذهان في مجمل أعماله، ترجمة وتأليفاً، التي تأتي في سياق إستراتيجية المستشرقين المنتمين إلى الدائرة الضيقة لحكومة فرنسا الاستعمارية. وإن كان ذلك

يأتي ضمن إستراتيجية تعمل على رسم صورة نمطية للشخصية العربية الإسلامية، مطلقة في الزمان والمكان، ومجاوزة لحركة التاريخ، بهدف تشويه صورة الشعوب المستعمرة، وطمس معالم شخصيتها، لاعتبارات تاريخية وحضارية، عبر إضعاف لغتها وثقافتها، وإحلال محلهما، لغتها الفرنسية وثقافتها.

تلقي هوار غربياً وعربياً

ـ هوار في الغرب:

لقد صنف (ميشال بواسيت Michel boisset) الأستاذ هوار، في الجزء الثاني من قائمة الكتب والمقالات التي تم تحليلها في النشرية الخاصة بالوثائق الببليوغرافية، ضمن آخر أفضل خريجي مدرسة اللغات الشرقية والمدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس، مع بداية القرن العشرين، وعَدَّه من أبرز المستشرقين البارزين، الذين استطاعوا أن يجمعوا بكفاءة عالية بين التأليف والبحث العلمي والنشاطات المهنية الإدارية الرسمية والمدنية، حيث برع الأستاذ هوار إلى جانب أدائه الرائع لمهنته الدبلوماسية وتحرير التقارير، في تأليف العديد من المؤلفات في مختلف الميادين، فضلاً على تحقيق وتصنيف المخطوطات والعمل البيبليوغرافي.

إذ كتب في اللغات الشرقية: العربية والفارسية والتركية، كما اشتغل بعلم البيبليوغرافيا، وفي علم الآثار، إلى جانب التاريخ والدين والفلسفة، وقد حاز بذلك، حسب رأي (ميشال بواسيت)، على شرف السبق والتأليف في كثير من

الميادين، لعل من أبرزها كتاب (تاريخ الأدب العربي) باللغة الفرنسية، وهو الكتاب الذي نشرته (أرموند كولن Armand Colin، عام 1902)، ثم ترجمته السيدة (ماري لويد Lady Mary Loyd عام 1903) إلى اللغة الفرنسية، حيث طبع أربع مرات، آخرها كان في عام 1939.

وهذا، دون أن يغفل كاتب المقال الإشارة إلى الدراسات الاستشراقية اللاحقة، التي تحمل بين طياتها وجهات نظر جديدة مختلفة نسبياً عن تلك التي جاءت، سابقاً، في مؤلفات هوار.

ويذكر هنا صراحة المستشرق (بلاشير)، الذي زحزح الأستاذ هوار من مركز الصدارة، وجعل أعماله متجاوَزَة زمانياً، إلا أن أعمال هوار ستبقى، في رأي (ميشال)، الأكثر أصالة، بالنظر إلى فرادتها وتميزها وقيمتها التاريخية، ويقرّ بأنها مازالت، إلى غاية الآن، لا تحظى في الأوساط المعرفية بالقدر الكافي من الدراسات.

ويشير بلاشير إلى الفصل الكامل الذي كان خص به هوار الصحافة العربية، في كتابه "تاريخ الأدب العربي". وهو الفصل الذي لا أثر له في الدراسات الأدبية اللاحقة، كما هو الحال بالنسبة لكثير من أعمال هوار[1].

ينظر:

(1) Michel Boisset, Bulletin des documents bibliographiques, 2eme Partie, p383

ومن جهة أخرى، فإننا وجدنا "مجلة الأديان" في أول عدد يصدر لها مباشرة بعد وفاة هوار عام 1926م، تشيد بأعماله، وترى بأنها استوعبت كل المجالات، في الشرق الأوسط، التي دفع بها في كل الاتجاهات من البحث في لغات الشرق العربية والفارسية والتركية، إلى تاريخ هذه المنطقة وتاريخ أديانها وأصولها الإثنية وفنونها وعقائدها، وغيرها.

وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين يعد مؤلفات هوار من المصادر التي لا غنى عنها، في مختلف البحوث، في العلوم الإنسانية. وقد عدَّه (ج. براون E. G. Browne)[1] مرجعاً أساسياً، في مجال الدراسات الفارسية وعلم اللهجات، بحيث تكاد لا تخلو اقتباسات (بروان) من كتابات هوار، وبخاصة ما تعلق منها بالدراسات اللغوية والتاريخ الأدبي وتاريخ الأديان عموما، وتاريخ بلاد فارس على وجه التحديد.

ويعود الفضل للأستاذ هوار في دراسة (براون) للفرق الدينية، وفي مقدمتها (البابية)، التي نشر بشأنها كتاباً سنة 1891، بعنوان "رواية مسافر لتوضيح حادثة الباب". فقد كُتب بعض تلك الأعمال في فرنسا وخارجها، وتُرجم بعضها إلى

(1) Eduarrd Granville Brown، (1862-1926)، مستشرق إنجليزي، تخصص في الأدب الفارسي. وهو صاحب أفضل وأوسع كتاب في "التاريخ الفارسي".

لغات عديدة: إنجليزية وإسبانية وعربية وغيرها، كما تم الشروع في إعادة نشر بعضها الآخر.

وهذا ما جعل الأستاذ هوار يحظى بتقدير واحترام كبيرين بين معاصريه، بفضل ثقافته الواسعة، وإجادته المتميزة للغات الشرقية، وبخاصة اللغة العربية، التي كان يجيدها إجادة شبه تامة، تليها التركية، فالفارسية، التي كان ينطقها بلكنة تركية. الأمر الذي جعل أعماله تشكل معيناً لا ينضب، ومصدراً من المصادر المهمة في الدراسات الاستشراقية، التي لا يفتأ ينهل منها عن قرب مختلف كبار الباحثين، وعلى رأسهم عالم اللهجات الفارسية E. G. Browne.

استعرضت السيدة (ماري روبرت Marie- Roberte Gugnard) في مداخلة حول المكتبات الاستشراقية في العالم، شاركت بها في المؤتمر الدولي في دورته السابعة والعشرين حول الاستشراق بجامعة ميتشجان الأمريكية، حيث أشارت الباحثة إلى أن أعمال هوار الاستشراقية توجد حالياً على مستوى العديد من المكتبات الإقليمية والعالمية، ومنها مكتبات الشرق الأدنى: اليابان والصين وتايوان.. إلخ. وذكرت كثيراً من تلك المكتبات في هذا الصدد، إلا أنها عَدَّت مكتبة تايهوكو Taihoku بجامعة تايوان الوطنية هي الأضخم على الإطلاق. حيث تضم نحو 850 ألف مجلد، منها 300 ألف

مجلد من الصين و230 ألف مجلد من اليابان ذات الاهتمام الاستثنائي في هذا المجال. وتمثل فيها أعمال هوار مجموعة مهمة من المجلدات التي يبلغ عددها 2275 مجلداً، التي كانت قد وصلت إليها عبر جزيرة "فورموزا Formose قبل عام 1929م. وهذه المجلدات تضم الكثير من الوثائق النفيسة حول الشرق الأدنى والأوسط[1].

وفي عام 1929م نشر مكتبة جامعة "تايهوكو Taihoku" كتالوجاً للراحل هوار. وقد تم حتى الآن إعداد كتالوجات جماعية متخصصة في بعض العصور، تم التخطيط لها على الصعيد القومي. حيث نشرت منها كتالوجاً جماعياً يضم الكثير من الأعلام؛ من بينهم كبير المستشرقين في فرنسا الأستاذ هوار باعتبار أن أعماله المطبوعة قد عُدَّت من المؤلفات القيمة التي تخضع لتصنيف منهجي خاص، وفقًا للتقاليد التي تعتمدها مكتبة هذه الجامعة، المهتمة أساساً

(1) Marie -Roberte Guignard, Des bibliothèques De l'Orientalisme à l'occasion du 27eme Congrès internationale des Orientalistes Guignard, Marie-Roberte. Les bibliothèques d'orientalisme à l'occasion du 27e Congrès international des orientalistes: Bulletin des bibliothèques de France (BBF) [en ligne]. 1968 [consulté le 09 février 2019]. Disponible sur le Web: <http://bbf.enssib.fr/consulter/bbf-1968-02-0077-002>. ISSN 1292-8399

بالدراسات العالمية عموماً والشرقية على وجه الخصوص[1].

اهتمت جامعة كمبريدج (Universitu Press Cambridge، بأعمال هوار، حيث أعادت طبعها ونشرها في عدة مناسبات، كما الحال بالنسبة لكتابه (قونيا مدينة الدراويش) بجزئيه الأول والثانـــي، إلى اللغة الإنجليزية (سنة 2012)، تحـت إشراف (Cambridge Library Collection - History English)، وترجم الكاتب الأرجنتيني الشهيبر (أوسبالدو أ. ماتشاضو Osvaldo A. Machaldo) كتاب (تاريخ الأدب العربي)، وقدَّمَه إلى القراء باللغة الإسبانية تحت عنوان (الأدب العربي Literature Arabe)، كما ترجمت أيضاً الكاتبة الإسبانية (أرخيمون فيكتوريا Argimon Victoria) مصنفاً للمستشرق الفرنسي هوار عن الخطوط الإسلامية وأعلام من اشتغلوا بفنون الكتاب في الشرق الإسلامي بعنوان (Cigrafos del Oriente Musulmana SP-27).

لقد حظيت مؤلفات الأستاذ هوار بأهمية لافتة في الآداب العالمية، حيث ترجم له "إدموند جوس Edmund Gosse. عام 1903 كتاب "تاريخ الأدب العربي" إلى الانجليزية، وكانت هذه النسخة المترجمة ولا زالت مصدرا أساسياً في الدوائر

(1) Ibid, p

المعرفية والتاريخية في المملكة المتحدة إلى يومنا هذا.

كما كَتَب عن هوار، المسشرقُ البارز (لويس بازين)، العضو في الأكاديمية وأستاذ اللغويات وعلم التركيات بجامعة باري[1]، حيث يذكر أنه بعد عودة هوار من السلك الدبلوماسي ودخوله إلى الأكاديمية سنة (1919) مديراً لكرسي الأكاديمية، خلفاً لـ"شيفر Charles Schefer، قد واصل مع زميله هنري ماسي Massé Henri مسيرة الأبحاث التي كان شرع فيها زميلهما المتوفى في حينه "شيفر Schefer" حول الثقافة الفارسية. وحسب المستشرق (لويس بازين)، فإن الدراسات الفارسية، في عهد هوار دخلت عهداً جديداً، وبخاصة حين اهتم بدراسة تاريخ ملوك الفرس والملاحم، والترجمة لكبار الشعراء الكلاسيكيين، كما جمع العديد من الحكايات الشعبية الفارسية القديمة، إلى جانب جمعه للعديد من المؤلفات النثرية التي ألفت في عصره، وبخاصة تلك التي يأتي فيها النثر بعيداً بما فيه الكفاية عن الصنعة والتكلف، وهذا النوع هو أحب أنواع النثر إلى قلب هوار. وفي هذه الأثناء نشر هوار سلسلة مهمة

(1) بازين لويس، لغوي، متخصص في علم التركيات (Turcologie)، أستاذ بالمعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية ومدير معهد الدراسات التركية بجامعة باريس (1990). - عضو في أكاديمية التدوين والدروس الشفوية (1993).

من أعماله، قبل أن يتخلى عن منصبه، ويتفرغ للتدريس إلى حين وفاته في 1926[1].

يشيد (ج. براون) بكتابات هوار، ويعدها من المصادر المفيدة التي لا غنى عنها في المواضيع ذات الصلة بالأدب المقارن وعلم الأديان والفنون وغيرها، ولو لم تكن كذلك، في نظره، لما حظيت باهتمام كبير في أوساط الباحثين، في الغرب والشرق.

ومن هنا أصبح ينظر إلى مؤلفات هوار بعين الرضا والتقدير العلمي العالييْن في الأوساط الفكرية والثقافية، وهو ما يستشف من مختلف المجلات التي نشر فيها مؤلفاته ودراساته الاستشراقية، ويحسب له أنه كان أول من نشر في مجلة الأديان، في طبعتها الأولى، كتابه "دين الباب"، الذي تناول فيه دراسة مهمة حول بعض المتغيرات العقدية للإسلام خلال القرن الثالث الهجري، مما جعل هذه المجلة تعيد التذكير بجهود هوار الرائعة التي تجلت في المجلدين الثريين بالنصوص القيمة، حول الدراويش ورقصتهم الدوارة. وهي من الأعمال التي نشرتها مدرسة الدراسات العليا، في القسم

(1) Louis Bazin, L'école des Langues Orientales et l'Academie des inscriptions et Belles-Lettres (1795-1995), 139e année, Paris, N. 4, 1995, p991.

المخصص لعلم الأديان (1918-1922). كما ذكرت دراسة أخرى له، في نفس السياق حول "الجلادون الفرس في القسطنطينية". وبالنظر إلى ذلك التقدير، فقد أعادت وأنهت المجلة فصولها، بسرد لأهم المناصب العلمية والدبلوماسية التي تقلدها هوار[1].

ومن بين المتأثرين بالأستاذ هوار المستشرق الشهير (لويس ماسينيون)، الذي كان يشير إليه دائماً، عند حديثه عن أساتذته ممن تتلمذ على أيديهم مباشرة، أو أولئك الذين أثروا في مساره الأكاديمي، ومن بينهم هوار الذي كان لا يستغني عن بحوثه ومؤلفاته الاستشراقية [2].

وعلى ذكر (ماسينيون) في هذا السياق، فَقَمينٌ بنا أن نشير إلى أن هوار كان قد استدرك أربعة نصوص غير منشورة، لم يذكرها (ماسينيون) في أطروحة له بعنوان: " Essai sur les origines du lexique de la mystique musulmane، نشرها في مقال له في مجلة ، في باريس تعنى بالأعلام والعلماء[3]. مما

(1) P. Alphandéry et R. Dussaud, Revue de l'histoire des religions Vol. 95 (1927), pp. 120-147

(2) Jacque Keryell, Louis Massignon au cœur de notr temps, Ed, Karahala, 1999 , p296.

(3) Huart Clément. Le martyre d'El-Halladj. In: Journal des savants. 21e année, Mars-avril 1923. pp. 60-72

يعني أن الأستاذ هوار كان لا يتردد في توجيه الباحثين وتزويدهم بالمعارف الضرورية ذات الصلة بالدراسات الاستشراقية.

بيد أن (رينيه دوسو Réné Dussaud) ألف كتاباً تحت عنوان "تاريخ وأديان النصيريين 1890م" ينتقد فيه الأستاذ هوار فيما ذهب إليه، في كتابه " الشعر الديني النصيري 1880"، حيث انتهى (رينيه) إلى أن ما ورد فيه بشأن أصول الطائفة النصيرية وموطنها وأصول عقيدتها، لا يمت بأي بصلة إلى الحقائق التاريخية، بل إن النصوص التي وردت في هذا الكتاب لم تقدم أي تفسير أو دراسة مقارنة للدين النصيري مع بقية الأديان المجاورة، مؤكداً أن الطائفة النصيرية تعد خليطاً إثنياً عربياً وفارسياً، وأن عقدتها الدينية شيعية إسماعيلية خالصة، ولا علاقة لها باليهودية أو المسيحية، كما زعم هوار. مما يعني أن كتاب هوار هذا ليس ذا قيمة تاريخية، ولا حتى إثنولوجية وأنثربولوجية، من وجهة نظر "رينيه"[1].

كما تعرضت بعض دراساته النحوية التاريخية للغات الشرقية، للنقد من بعض الباحثين المتأثرين بالاتجاه اللساني الحديث، في (كوليج دي فرانس) في سياق دراسة مقارنة بين

(1) ينظر كتاب:

René Dussaud, Histoire et religions des Nosairis, Première partie, Ed Librairie Emile Bouillon. Paris 1900.

أبحاث (جاستون باريس Gaston Paris)، والعالم اللساني (فردينان دي سوسير Fedinand de Saussure)، حيث جاءت الانتقادات، ضمن دراسة أنجزت، تحت إشراف الباحث (ميشال زينك Michel Zink) سنة 2003م[1].

- هوار في العالم العربي:

أما في العالم العربي، فإن أعمال المستشرق هوار، لم تحظ بذات الاهتمام المنتظر، أو هكذا أريد لها، مقارنة بما كُتب عنها في الغرب، إلا ما جاء لماماً في كتابات معدودات من هنا وهناك، فلم يأت ذكره عربياً إلا نادراً، في هذا الكتاب أو ذاك أو في هذه المقالة أو تلك، سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية.

وهو ما يجعلنا نؤيد ما ذهب إليه (براون) آنفاً حين يعزو سبب عدم شيوع اسم الأستاذ هوار وذيوع أعماله بالقدر الكافي، رغم أنه من كبار المستشرقين، الذين ظهروا مع بداية القرن العشرين، إلى غياب مؤلفاته الأصلية في المكتبات

---

(1) ينظر:

Collège de France, Le moyen Age de Gaston Paris, (La poésie et l'épreuve de la philosophie), Textes rassemblés par Odile Jacob, paris 2004, p236.

عامة، في العالم الغربي، ناهيك عن العالم العربي، مما يستدعي إعادة طبعها، على نحو كاف يتيح للدارسين تناولها على أوسع نطاق.

ونحن نتساءل مع (براون): لماذا لم تقدم دور النشر معلومات بيبليوغرافية ضافية، لا سيما فيما يتعلق منها بتاريخ الطبعات الفرنسية الأولى، مرفقة باسم المترجم، حيث يعلق (براون) آمالاً كبرى في إعادة نشر أعمال الأستاذ هوار ضمن روائع كبار المستشرقين، والتي كان يرى أنها ستسهم بلا ريب في الدراسات الاستشراقية[1].

فلم تتم الإشارة إلى هوار وأعماله إلا ما جاء لماماً في كتابات معدودات من أفكار محدودة، غالباً ما تأتي قليلة وشحيحة، وتتصف بالذاتية حيناً والأحكام المسبقة أحياناً أخرى، بالرغم مما تتميز به أعمال هذا المستشرق من قيمة تاريخية وعلمية، قد تفيد في معالجة العديد من القضايا الراهنة، خاصة ما تعلق منها بحوار الحضارات، وانفتاح الثقافات الراهنة في زمن العولمة.

ففي ضوء دراستنا المسحية لمعظم الكتابات العربية حول هوار، وجدناها لا تعدو كونها تراجم وجيزة، لا تليق بمقام

(1) Ibid .

هذه القامة الاستشراقية النشطة في العالم العربي، بحيث لم نعثر إلا على تعليقات باهتة مبتسرة واقتباسات مجتزأة من سياقاتها الطبيعية بعناية فائقة، من أجل إلصاق هذه التهمة أو تلك، بهذا الكاتب أو ذاك، لاعتبارات إيديولوجية أو خصومات شخصية. وقد كان للباحثين والمفكرين المحدثين والمعاصرين النصيب الأوفر من هذه الاتهامات، بدءاً بالمفكر والأديب طه حسين، مروراً بمحمد أركون ومحمد عابد الجابري، ونصر حامد أبو زيد وغيرهم كثر. وغالباً ما تتمحور تلك الاتهامات حول مسائل دينية، كتاريخ القرآن الكريم، والتشكيك في النبوة، التي عادة ما ترد في بعض مؤلفات المستشرق هوار.

وبجدر بنا أن ننبه هنا إلى أننا ونحن إذ نقدم هذا التوصيف، حول الكتابة العربية عن هوار، فإننا نؤكد مرة أخرى بأننا لا نقصد، بأي حال، من ورائه تقديم شهادة براءة وحسن سلوك، أو صك غفران لهذا المستشرق إزاء ما يزعمه البعض بأنه مطاعن في الإسلام، أو دفاعاً عن أولئك الذين يُعتقد أنهم تأثروا بأعماله وطروحات هوار، وإنما أردنا الإشارة إلى أن ما جاء في هذا السياق يفتقر إلى العلمية والموضوعية المطلوبة، باعتبار أن ما كُتب بشأن هوار جاء في سياق ردود أفعال وظواهر صوتية فراغية تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية المنضبطة. ونزعم أن جل ما كتب عن هوار في

الثقافة العربية، يندرج ضمن الخصومات النقدية، والانطباعات الشخصية، وتصفية الحسابات الإيديولوجية التي أفرزتها ظاهرة الصراع بين تياري الحداثة والتراث والأصالة والمعاصرة، في العالم العربي، أكثر منها بحوثاً رصينة، تطيل النظر في الظاهرة الاستشراقية، وتفيد القراء والباحثين في هذا المجال.

في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، عَدَّ (جورجي زيدان) الأستاذ هوار من مصادر تاريخ الأدب العربي، إلا أننا حين تصفحنا هذا الكتاب، لم نجد (جرجي زيدان) يذكر للأستاذ هوار سوى لمحة وجيزة عن سيرته الذاتية، وأنه "نشر كُتباً هامة من مؤلفات العرب مع ترجماتها أو بدونها، منها: كتاب الخليقة، لأبي زيد البخلي، مع ترجمته إلى الفرنساوية في (4 مجلدات)، ونقوش عربية وفارسية مع ترجمتها، خطوط الشرق الإسلامي، أنيس العشاق، لشريف الدين (رامي)، وغيرها[1].

وفي الوقت الذي أفرد فيه (نجيب العقيقي) للأستاذ هوار ترجمة مقتضبة ووجيزة -على غير عادته إزاء المستشرقين- في كتابه المتميز (المستشرقون)، لم يأت (عبد الرحمن بدوي)

(1) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012، ص1365، 1366.

على ذكر هوار إطلاقاً في (موسوعة المستشرقين)، مما يثير كثيراً من التساؤلات حول ملابسات ودوافع تلقي الظاهرة الاستشراقية لدى الدارسين والباحثين في عالم العربي.

وبالرغم من أن (الدكتور طه حسين) كان من أشد الكتاب والباحثيـــن إعجاباً بالأستاذ هوار، وتقديراً لكل أعماله، باستثناء ما تعلق منها بانتحال الشعر فحسب، إذ وجدناه هو الآخر لم يترجم ذلك الإعجاب والتقدير في دراسة تبرز القيمة الإبداعية والفكرية لهذا المستشرق المخضرم، إذ لم يكن (طه حسين) يستدعي هذا المستشرق للحضور في كتاباته إلا عند حاجته لتأكيد منهج الشك الديكارتي في دراساته التاريخية للأدب والثقافة العربية، ربما رغبة في إثارة ردود الأفعال والانتقادات ليس على ما ورد عن هوار، وإنما عما يكتبه هو نفسه على ضوء ما يستوحيه من أفكار هوار.

فبعد أن نشر الأستاذ هوار فصلاً طويلاً سنة 1804م في "المجلة الأسيوية"، يزعم فيه صلة القرآن باليهودية والمسيحية، من طريق شعر "أمية بن أبي الصلت"، باعتباره هو المصدر الرئيس للقرآن، بالنظر إلى التشابه الكبير بينهما، في التوحيد ووصف الآخرة، وقصص الأنبياء القدماء، وذهب هوار إلى أن المسلمين محوا شعر أمية بن أبي الصلت، وحرَّموا إنشاده، من أجل أن يستأثر القرآن بالجدة، ويصبح محمد هو

المنفرد بالوحي الإلهي[1]. فالنبي محمد، حسب زعمه، قد أخذ من شعر أمية لتأليف ما أسماه "القرآن"، لأن أمية أسبق من الرسول، وقد استشهد هوار بأبيات من شعر هذا الشاعر الجاهلي لإثبات هذا الادعاء.

يرد طه حسين على هوار، فيقول: «وزعم أنه ظفر بشيء قيم، واكتشف مصدراً جديداً من مصادر القرآن؛ هذا الشيء القيم، وهذا المصدر الجديد، هو شعر أمية بن أبي الصلت. وقد أطال الأستاذ هوار في البحث وقارن بين هذا الشعر الذي ينسب إلى أمية بن أبي الصلت، وبين آيات القرآن وانتهى من هذه المقارنة إلى نتيجتين:

(الأولى) أن هذا الشعر الذي ينسب إلى أمية، صحيح، لأن هناك فروقاً بين ما جاء فيه وما جاء في القرآن من تفصيل بعض القصص، ولو كان منتحلاً، لكانت المطابقة تامة بينه وبين القرآن. وإذا كان هذا الشعر صحيحاً، فيجب في رأي الأستاذ هوار أن يكون النبي قد استعان به قليلاً أو كثيراً في نظم القرآن»[2].

---

(1) CL Huart, Journal Asiatique Vol N°6, 1940, p125.

(2) طه حسين، في الشعر الجاهلي (نسخة مصورة)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1998 ص94.

(الثانية)، إن صحة هذا الشعر واستعانة النبي به في نظم القرآن، قد حملتا المسلمين على محاربة شعر أمية بن أبي الصلت ومحوه، ليستأثر القرآن بالجدة، وأن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء. وعلى هذا النحو استطاع الأستاذ هوار، أو خيل إليه أنه استطاع أن يثبت أن هناك شعراً جاهلياً صحيحاً، وأن هذا الشعر الجاهلي قد كان له أثر في القرآن. مع أني من أشد الناس إعجاباً بالأستاذ هوار، وبطائفة من أصحابه المستشرقين، وبما ينتهون إليه، في كثير من الأحيان، من النتائج العلمية القيمة، في تاريخ الأدب العربي، وبالمناهج التي يتخذونها للبحث، فإني لا أستطيع أن أقرأ هذا الفصل، الذي أشرت إليه آنفاً، دون أن أعجب، كيف يتورط العلماء أحيانا في مواقف لا صلة بينها وبين العلم»[1].

غير أننا نرى لو توقف (طه حسين) عند هذا الرد، واكتفى به، نافياً الصفة العلمية عن بحث هوار لكفاه ذلك عن أي ردود تنسف كل ما جاء بشأن ما زعمه هذا المستشرق الذي ينفي الصبغة الأُلوهية عن القرآن، والنبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم، لكن أن يستطرد (طه حسين) في القول بما يتساوق ورؤيته للشعر الجاهلي، ليعزِّيز من زاوية مختلفة

(1) في الشعر الجاهلي، مرجع سابق ص94.

ما ذهب إليه هوار، فهذا أمر آخر، يتعين أن نكتشفه حين يقول: «.. وليس يعنيني هنا، أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا يكون، فأنا لا أؤرخ للقرآن، ولا أذود عنه، ولا أتعرض للوحي، وما يتصل به. ولا للصلة بين القرآن وما كان يتحدث به اليهود والنصارى. كل ذلك لا يعنيني الآن»[1].

يرى (طه حسين) فيما ذهب إليه هوار نسفاً لكل ما بناه حول تاريخ الشعر الجاهلي، ولو لم يكن الأمر كذلك، وأن هوار سار في ذات الاتجاه لإثبات ظاهرة الانتحال في شعر أمية، لاحتفظ (طه حسين) بمدح هوار كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. ومادام الأمر يتعلق بإثبات ظاهرة الانتحال في هذا الشعر، وليس يتعلق بالقرآن، فيؤكد طه حسين أن الذي يعنيه هو شعر "أمية بن أبي الصلت" وأمثاله من الشعراء المنتحلة أشعارهم في عصور متأخرة، ومنسوبة إليهم كذباً.

لا يخفي (طه حسين) تقديره لـلأستاذ هوار ولأمثاله من المستشرقين، معبراً عن ذلك التقدير، بأسلوب المدح بما يشبه الذم، حين يقول: «والغريب من أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله (يقصد هوار) أنهم يشكُّون في صحة السيرة نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود. فلا يرون في

(1) المرجع نفسه ص95.

السيرة مصدراً تاريخياً صحيحاً، وإنما هي عندهم كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعاً: طائفة من الأخبار والأحاديث، تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق ليمتاز صحيحها من مُنتَحَلِها. هم يقفون هذا الموقف من السيرة ويغلون في هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية بن أبي الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن»[1].

ومن الملاحظ أن (طه حسين) يعاتب هنا هوار، كما يعاتب مستشرقين آخرين يكيلون بمكيالين؛ فمن جهة يشككون في صحة السيرة، ومن جهة أخرى ينفون عن شعر أمية بن أبي الصلت صفة الانتحال، فلو حدث وأن حوكمت السيرة النبوية مع هذا الشعر بنفس معيار الانتحال، في رأي طه حسين، لاستقام البحث، وقام على أسس علمية بلا ريب. أما وقد سار في اتجاه مختلف بما لا تشتهيه سفن"طه"، فهذا يدعو إلى الاستغراب والتساؤل، لأن أخبار أمية مثلما يؤكد: «ليست أدنى إلى الصدق، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة. فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون الآخر؟»[2].

---

(1) المرجع نفسه، ص95.

(2) في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص95.

غير أن رد (طه حسين) هذا على المستشرق هوار، قد أثار حفيظة العديد من الكتاب في عصره، ولعلنا نذكر هنا الرافعي، الذي كان من أكثر ممن ردَّ على هوار من خلال ما ذهب إليه (طه حسين) بشأن هذا المستشرق، ضمن كتابه "في الشعر الجاهلي،" واصفاً هوار بالخرف، من جهة، ومتهماً (طه حسين) بالنقل عن هوار، من جهة أخرى. حيث جاء في كتابه "تحت راية القرآن"، قوله: «وإذا لم يكف النص في كتاب سماوي (يقصد القرآن)، تدين له الأمة كلها لإثبات وجود المنصوص عليه، فما بقي معنى لتصديقه، وما بقي إلا أن يكون القرآن كما يزعم المستشرقون أساتذة طه حسين وأولياؤه، كلاماً من كلام النبي ﷺ نفسه، ومن نظمه وعمله كما نقل عن هذا الخَرِف المسمى كليمان هوار؛ فهو يدخله ما يدخل كلام الناس من الخطأ والغفلة والحيلة والكذب، فله أن يزعم ما شاء، ولكن ليس علينا أن نصدق أو نطمئن، وإذا هو ذكر اثنين من الأنبياء، وإذا هو ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، فذلك غير كاف في رأي الجامعة المصرية لإثبات أن إبراهيم واسماعيلَ شخصان كان لهما "وجود تاريخي"، ولا أنهما هاجرا إلى مكة ورفعا قواعد البيت الحرام وبنيا الكعبة؛ وإذن فالقصة في رأي الجامعة المصرية من الأساطير الموضوعة، ومما يلتحق بحيل الروائيين

التي يشدون بها المعاني الاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، ويؤتى بها في الرواية على أنها من الكذب الفني توصلاً إلى سبك حادثة أو تقرير معنى أو شرح عاطفة (...) وأن القرآن وضع إنساني فيه الخرافة وفيه الكذب، وأن النبي ﷺ رجل سياسي، فلا نبوة ولا رسالة له ، وأن أئمة المسلمين يكذبون في تأويل تاريخهم ويؤيدون هذا التاريخ بقول الزور والانتحال»[1].

كما أفرد (محمد مصطفى جمعة) فصلاً كاملاً من كتاب له، بعنوان: "نقد كتاب في الشعر الجاهلي" حيث عَقَد فيه بما يشبه المقارنة بين الأستاذ هوار والدكتور (طه حسين)، وزعم أن (طه حسين) «يعلم علم اليقين أن رأي هوار في نظر القراء والطلاب، والمتأدبين والنقاد، أعظم وأقوى حججاً من رأيه. بل يخطئ جداً من يقارن بينهما لعظم الفرق بين الاثنين في عالم العلم والمعرفة، وإن كنا لا نريد أن نحط من مكانة مؤلفه»[2].

ويتساءل الكاتب (محمد مصطفى جمعة) عن أن يكون مؤرخان في الأدب العربي، هوار و(طه حسين)، على طرفي

(1) الرافعي، تحت الراية القرآن، دار الكتاب العربي، ط7، 1974 ص152.
(2) محمد مصطفى جمعة، نقد كتاب (في الشعر الجاهلي) مطبعة المقتطف والمقطم بمصر، ط1، 1926 ص222.

نقيض، كأن أحدهما في القطب الشمالي والآخر في القطب الجنوبي. لقد يقبل من أحدهما الانحراف القليل عن الآخر، أو الميل لجزء من نظرية دون جزء، ولكن الخلاف المطلق لم نسمع به ولم نقرأ عنه بين العلماء في مسألة واحدة»[1].

وينتصر (محمد مصطفى جمعة) لصالح الأستاذ هوار مفضلاً إياه على (طه حسين) فيما زعمه بشأن القرآن وشعر أمية بن أبي الصلت، حين يقول الأستاذ هوار إن وجود شعر أمية دليل ضد النبي والقرآن، وبهذا يعلل محاربته ومحوه.

ويرى مؤلفي الشعر الجاهلي، (طه حسين) في الشعر نفسه دليلاً أن للإسلام قدمة سابقة في البلاد العربية. ويختم الكاتب حجته هذه بتساؤل مفاده: «فهل يخلق لوجود هذا الدليل الذي يؤدي إلى صحة النبوة وصدق القرآن، فيدعي انتحال شعر أمية»[2].

وفي الوقت الذي لم تهتم فيه إدارة جامع الأزهر في مصر بكتابات الأستاذ هوار، إلا قليلاً، ضمن تصنيفاتها للمستشرقين ودراساتهم الاستشراقية الخطيرة والأقل خطورة، مثلما هو الحال في الدراسة التصنيفية التي نشرتها الإدارة العامة للثقافة

(1) محمد مصطفى جمعة، نقد كتاب (في الشعر الجاهلي)، مرجع سابق، ص223.
(2) المرجع نفسه، ص224.

الإسلامية بقلم مديرها، والتي يصفه هذا المستشرق هوار بأنه يخبط خبط عشواء فيما يكتبه عن الإسلام، وهو ممن لا يشكلون خطورة على المسلمين[1]، فإننا وجدنا كثيراً من مشيخة الأزهر، قد تصدوا لكتابات هوار الذي كان ملأ الدنيا وشغل الناس في عصره، حول الإسلام. ولعلنا نذكر هنا الشيخ الأزهري، (محمد الخضر حسين)، الذي ألفيناه يرد على الأستاذ هوار بشأن صلة القرآن بشعر أمية بن أبي الصلت، من خلال رده على الدكتور (طه حسين).

فيرى أن (طه حسين) لم يخالف هوار في زعمه والطعن في مصادر القرآن الإلهية، ويتساءل مستغرباً: «لا ندري كيف غاب عن المؤلف (طه حسين) أن يوافق هوار في صحة شعر أمية حتى يستفيد شبهة على القرآن، ثم ينكره جمعاً لشمل نظرية الشك في الشعر الجاهلي (...) وهو له في تقرير هذه النظرية مآرب ترجح على مآرب أخرى (...)، ولاسيما بعد أن يحدثك بلسان المستشرقين.. تأثر باليهودية والنصرانية ومذاهب أخرى بين بين»[2] .

---

(1) أ.د. محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، ص22.

(2) محمد الخضر حسين، نقض كتاب في الشعر الجاهلي (نسخة مصورة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة)، مصر 2012 ص 180.

وصفوة القول: إن هوار استحال إلى أداة لتصفية (طه حسين) على يد خصومه من خلال كتابه (في الشعر الجاهلي). ويأتي هذا في الوقت الذي تزايدت فيه مزاعم هذا المستشرق انتشاراً وتأكيداً، من طرف العديد من الباحثين. فهذا المستشرق (باور Power) يؤكد، مرة أخرى، مزاعم هوار، ويرى بأن هناك، فعلاً، أوجه تشابه كثيرة بين شعر أمية بن أبي الصلت والقرآن، وهو ما يدل دلالة قوية، بل وقاطعة، في رأيه، على صحة ووجاهة ما ذهب إليه هوار في الاتجاه.

بيبليوغرافيا هوار

- Mémoire sur la fin de la dynastie des Hékaniens, Journal asiatique, Paris 1876.
- Notice sur les tribus arabes de la Mésopotamie par D. Hamdi. Traduite de l'arabe par M. Clément Huart Reliure inconnue – 1879.
- Grammaire Élémentaire de la Langue Turque 1890 .
- L'Iran antique antique Élam et perse la civilisation iranienne.
- Notes Prises Pendant Un Voyage En Syrie (Reliure inconnu) 1879.
- Étude biographique sur trois musiciennes arabes: "Maḥboûbèh, chanteuse du khalife Motawakkil," "Obaïda, la joueuse de guitare" et "Baçbaç l'esclave d'Ibn-Nafîs". Paris 1884.
- La Poésie religieuse des Nosaïris, Journal asiatique, Paris 1885.
- La Religion de Bab, réformateur persan du 19e siècle, Paris 1889.
- Konia: la ville des derviches tourneurs: souvenirs d'un voyage en Asie Mineure 1897 .

- Grammaire élémentaire De La Langue Persane, Paris 1899.
- Notice d'un manuscrit pehlevi-musulman de la bibliothèque de Sainte-Sophie à Constantinople, E.Leroux Paris 1890.
- Histoire De Bagdad Dans Les Temps Modernes, Paris, Ernest Leroux, 1901.
- Histoire des littératures, Librairie Armand Colin ,Paris, 1902.
- Exposition des arts musulmans: catalogue descriptive (avec la collaboration de Gaston Migeon, et Max van Berchem), Paris 1903.
- Le Rationalisme musulman au IV^{e} siècle de l'hégire, Paris 1904.
- Une nouvelle source du" Qoran", Journal Asiatique, Paris, 1904.
- Wahb ben Monabbih et la tradition judéo-chrétienne au Yémen, 1904
- Inscriptions arabes et persanes des mosquées chinoises de K'ai-fong-fou et de Si-ngan-fou» T'oung Pao, 2^{e} sér., 6, 1905.
- Diwân de Salâma ibn, Jandal.
- Les Calligraphes Et Les Miniaturistes De L'orient Musulman 1908.
- Textes persans relatifs à la secte des Houroûfîs 1909.
- Histoire des Arabes, 2 vols., Paris, 1912-13.

- Les Saints des derviches tourneurs recits traduit du Persan , Tome1, Ed Ernest Leroux 1918.
- Le livre de la création et de l'histoire d'Abou-Zéïd Ahmed Ben Sahl el-Balkhî (6vol 1899- 1919).
- Grammaire élémentaire De La Langue Persane: Suivie D'un Petit Traité de Prosodie, De Dialogues, De Modèles de Lettres et d'un choix de Proverbes.

- مواقع الإنترنت :

https://ia801409.us.archive.org/BookReader/BookReaderImages.php?zip=/9/items/littraturearabe00huargoog/littraturearabe00huargoog_tif.zip&file=littraturearabe00huargoog_tif/littraturearabe00huargoog_00

http://onlinebooks.library.upenn.edu/webbin/book/lookupname?key=Huart%2C%20Cl%26eacute%3Bment%2C%201854-192621.tif&scale=1&rotate=

https://books.google.com.cu/books?id=8w3rYriwxoIC&printsec=frontcover&hl=fr

https://archive.org/details/lessaintsdesderv01jalauoft

https://books.google.dz/books?id=bTI6wOMHM6oC&printsec=frontcover&hl=fr&source=gbs_ge_summary_r&cad=0

https://cths.fr/an/savant.php?id=104079

كليمان هوار (1854-1926)
CLÉMENT HUART

كليمان هوار، مستشرق فرنسي ودبلوماسي سابق لدى الحكومة الفرنسية بسوريا وتركيا وكاتب وباحث أكاديمي. مترجم من العربية والفارسية والتركية واليونانية إلى الفرنسية، ولغوي متخصص في الأدب المقارن وتاريخ الأديان. عضو نشط في الحركة الاستشراقية. ترأس عدة جمعيات ثقافية وأهلية. اشتغل أستاذا في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. قضى هوار ما يناهز ربع قرن في دمشق واسطنبول. له عشرات المؤلفات والبحوث والدراسات شملت اللغة والأدب والفنون والتاريخ والدين والثقافة، جلها كانت حول العالم العربي. من أشهر كتبه: تاريخ العرب، تاريخ الأدب العربي، قونيا مدينة الدراويش، الشعر الديني النصيري.

هامل بن عيسى

أستاذ التعليم العالي وباحث أكاديمي جزائري، متخصص في السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي والثقافي، مستشار معتمد لدى عدة مجلات محلية ودولية محكمة، عربية وغربية. له العديد من المؤلفات في مجال النقد والأدب والثقافة، منها: السيميائة: منطلقاتها النظرية واتجاهاتها النقدية. واقع الخطاب الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، وغيرها من البحوث والدراسات.

ISBN 978-9920-627-16-0

الدار البيضاء/بيروت
+212522810406 / بيروت:+9611747422
markazkitab@gmail.com

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع